جامعــة الأزهــــر
كليــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلميــة

الطابع التاريخي للتوراة "دراسة نقدية"

إعداد
د/ محمد علي إسماعيل البطة
أستاذ مساعد الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة- جامعة الأزهر

(العدد الرابع عشر)
(الإصدار الثاني - ديسمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

"الطابع التاريخي للتوراة: دراسة نقدية

محمد علي إسماعيل البطة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني: Batta712000@yahoo.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على التناقضات التاريخية في التوراة، فمحتواه غالبًا ما يركز على دعوى الطابع التاريخي للتوراة، ومناقشة هذه الدعوى ودحضها من خلال دراسة العلاقة بين الوقائع التاريخية التوراتية، وبين الأحداث التاريخية الواقعية كما ثبتت عبر الشواهد والآثار التاريخية العديدة، بحيث لا يمكن لهما أن يكونا صحيحين في الوقت ذاته؛ أي أن "التناقض التاريخي" هو ضرب من العلاقة بين فكرتين هما: الوقائع التاريخية التوراتية، من حيث كونها كتاب سماوي مقدس تقع أخباره المحكية كما وردت–بحسب اعتقادهم–، والأحداث التاريخية الواقعية، من حيث تناقضها مع الواقع، وهذا البحث هو محاولة لاستكشاف طبيعة التوراة ضمن سياق النقد التاريخي والذي يشكل أداة مهمة في نقض دعوى مصداقية الوقائع التاريخية التوراتية بشكل مطلق، والذي يثبت عدم صحة كثير مما أوردته التوراة مما يجعلها بحاجة لأن يعاد النظر في السياقات العلمية للتاريخ اليهودي والخروج به من دائرة المنظور الصهيوني (المزيف والمتعصب)، إلى دائرة المنظور العلمي التاريخي والمعرفي الموضوعي والديني الصحيح، استخدمت خلال كتابة هذا البحث المناهج البحثية المنهج الاستقرائي ، والوصفي، والتحليلي ، والتاريخي ، والمقارن، والنقدي، وقد اشتمل البحث على مقدمة ، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ونتائج للبحث ومنها: نظرًا لأهمية التوراة لدى اليهود، فهم يسمون أنفسهم شعب التوراة وهنا تأتي أهمية النقد التوراتي، رغم القدم التاريخي للتوراة وسبقها الزمني، ووجودها قبل آلاف السنوات، فإن ذلك لا يغني عن توخي الحذر العلمي والمعرفي في التعامل مع مسلماتها ومقولاتها، نقد التوراة ليست مسألة مطلوبة فقط، بل هو ضرورة علمية ودينية، يوجد العديد من الإشكاليات العلمية والدينية في التاريخ اليهودي ينبغي على الباحثين دراستها والنظر فيها.

الكلمات المفتاحية: نقد– التوراة – التناقضات التاريخية – الوقائع التوراتية– القداسة– الواقعية.

The Historical Character of the Torah: A Critical Study"

Mohamed Ali Ismail Al-Batta
Department of Islamic Advocacy and Culture, Faculty of Religion and Da'wah in Mansoura, Al-Azhar university.
E-mail: Batta712000@yahoo.com

Abstract:
This research aims to shed light on the historical contradictions in the Torah. Its content often focuses on the claim of the historical character of the Torah, discussing and refuting this claim by examining the relationship between the Biblical historical facts, and real historical events as proved by numerous historical evidence and monuments, so that they cannot be true at the same time; That is, "historical contradiction" is a part of the relationship between two ideas: The biblical historical facts, in that they are a biblical heavenly book whose telling news falls as they believe it was, This research is an attempt to explore the nature of the Torah in the context of historical criticism and is an important tool in overturning the credibility of the Biblical historical facts. which demonstrates the invalidity of much of what the Torah stated, making it necessary to re-examine the scientific contexts of Jewish history and move it out of the Zionist perspective. In writing the research curriculum used the inductive, descriptive, analytical, historical, comparative and critical approach. The research included an introduction, a prelude, three investigations and research findings, including: Given the importance of the Torah to the Jews, they call themselves the people of the Torah and here comes the importance of biblical criticism, Despite the historic progress of the Torah and its predecessor, and its existence thousands of years ago, This does not mean that scientific and cognitive caution should be exercised in dealing with its attitudes and pronouncements. The Bible's critique is not only a desired matter, but a scientific and religious necessity. s rights ", there are many scientific and religious problems in Jewish history that researchers should study and consider

Keywords: Critique - Torah - Historical Contradictions - Biblical Facts - Holiness – Realism.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وبعد،

فمن المعلوم أن التوراة بصورتها الحالية قد احتوت علي قصص تاريخية تشكل لدى المؤمنين بها وقائع تاريخية وصحيحة لا تقبل الشك أو التكذيب. فبجانب أن هذا الكتاب له وظائف عقدية تشريعية وأخلاقية فله أيضاً وظائف تاريخية وجوانب قصصية.

وهي بلا شك تمثل قيمة تاريخية مهمة من حيث اعتبارها كتابًا تاريخيًا لا يقبل الشك في صدق وقائعه، ومصداقية قصصه إلي جانب المجالات الأخرى، من عقائد وتشريعات وأخلاق (حسب ما يعتقدون).

لقد قام علماء كُثُر في عصرنا الحاضر، وقبله قام أسلافنا العلماء بدراسة هذا الكتاب علي مر العصور، ومن جميع جوانبه وسائر موضوعاته، حتي أسسوا مناهج للنقد الكتابي، وأرسوا نظريات وحقائق تدعوا إلي مزيد من البحث والدراسة فيه، من تاريخ ونصوص وقضايا وقد أفلحت محاولاتهم العلمية، ودراساتهم القيمة في التشكيك في صدق كثير من القصص التاريخية التي وردت بها. هذا التشكيك الذي تطور مع الأحداث العلمية والاكتشافات الأثرية التي ظهرت حديثاً جعلت هذا الكتاب يخرج عن كونه مصدرًا تاريخيًا مقدسا يمكن الوثوق به.

وعليه فإن دراسة الجوانب التاريخية التي وردت بالتوراة، وثبت حديثاً أنها تخالف الوقائع التاريخية المتعارف عليها حالياً من خلال الاكتشافات الأثرية الحديثة، هي موضوع هذا البحث والذي جاء بعنوان: (الطابع التاريخي للتوراة: دراسة نقدية)، أو بمعنى آخر (تاريخية التوراة بين القداسة والواقعية).

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث فيما يلي:

١- التعرف علي الاتجاهات المتعددة التي تنظر إلي مرويات التوراة من منظور مختلف، ورؤى متعددة ومتباينة في كثير من جوانبه.

٢- طرح فكرة قدسية المرويات التاريخية للتوراة علي طاولة البحث ومسارات الدراسة وإخضاعها للنقد والتحليل.

٣- دراسة العلاقة بين بعض المرويات التاريخية للتوراة المكانية والزمانية والحضارية التي وجدت فيها، ضمن إطار المكتشفات العلمية والأثرية الحديثة.

٤- الخروج من سيطرة الدراسة اللاهوتية (اليهودية) والتي تطرح مرويات التوراة في إطار من العصمة والقداسة التي ليست محلاً للشك والنقد–في نظرهم–.

٥- النظر إلي هذه المرويات ضمن معلومات قابلة للتفسير المرئي للحدث وتفنيده وحضوره وتعزيز القراءة المفيدة للتاريخ من حيث القدرة علي النقد والاستنتاج الصحيح والتصور السليم للحدث ومحيطه وأبعاده.

منهج البحث:

استخدمت خلال كتابة هذا البحث المناهج البحثية الآتية:

- المنهج الاستقرائي: وقد استخدمته في جمع المعلومات المتعلقة بموضوع البحث.
- المنهج الوصفي: اعتمدت فيه علي جمع المعلومات في موضوع البحث ومقارنتها، وهذا المنهج سائد في البحث، حيث قمت باختيار بعض الوقائع التاريخية التي وردت في التوراة، ووصف هذه الوقائع بقدر ما يسمح به البحث، ومقارنتها مع وقائع ونصوص أخري.
- المنهج التحليلي: قمت من خلاله بتحليل جزئيات النصوص المختلفة ومحاولة استنباط ما يلائم البحث ويتوافق مع موضوع الدراسة.

- المنهج التاريخي (الاسترادى): استفدت منه في التتبع التاريخي لبعض القضايا محل الدراسة.
- المنهج المقارن: وبه قارنت بعض النصوص بغيرها وصولاً إلي توضيح بعض المسائل والصور المتصلة بالبحث.
- المنهج النقدي: وهو دراسة النصوص وتفسيرها واستظهار خصائصها للانتهاء إلى مكامنها وجواهرها.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

١- التأكيد على وجوب خضوع نصوص التوراة التاريخية لمعايير النقد التاريخي.

٢- مخالفة كثير من النصوص التاريخية التوراتية للواقع والوقائع التاريخية.

الدراسات السابقة•:

من خلال البحث والاطلاع، وفي ضوء معلومات الباحث تبين أن الدراسات السابقة تنقسم إلي قسمين:

الأول: دراسات مباشرة تتعلق بذات الموضوع، أو بإحدى جوانبه.

الثاني: دراسات غير مباشرة ترتبط بالموضوع في نقاط محددة، أو أفكار ذات علاقة.

تساؤلات البحث:

- ما مدي مصداقية مروريات التوراة ذات الطابع التاريخي ولا سيما المستقبلي؟
- هل تصلح التوراة أن تكون كتابًا تاريخيًا مقدسًا من حيث الإخبار بالأحداث التاريخية؟
- ما الاتجاهات والمدارس المرتبطة بدراسة الطابع التاريخي للتوراة؟

• تمت الإشارة إلى هذه الدراسات بشكل أوضح في مراجع البحث.

مجال البحث وحدوده:

يتمثل مجال البحث وحدوده فيما يلي:

- الحدود العلمية: وتتضمن التوراة فقط، باعتبارها محل الدراسة ومجال البحث.
- الحدود الموضوعية: وتشمل بعض المرويات التاريخية في التوراة، كنماذج للدراسة، وتوضيح فكرة البحث، واستنباط نتائجه.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث مشتملة علي مقدمة، وتمهيد يعد مدخلاً مهماً للدراسة، وثلاثة مباحث:

أما المقدمة فتشتمل على: أهمية البحث، ومنهج البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وتساؤلات البحث، ومجال البحث وحدوده، وخطة البحث.

وأما التمهيد فيشتمل على: جوهر المنهجية التاريخية التي على نقيض المنهجية العقائدية، والنظرية في القصص التوراتية، والصلة العضوية بين التاريخ والديانة.

المبحث الأول: ويشتمل على تعريف بالتوراة وأهم محتوياتها وأسس نقدها، والثاني: الطابع التاريخي للتوراة: دراسة نقدية، والثالث: الطابع التاريخي للتوراة: (نماذج تطبيقية مختارة)، ثم خاتمة البحث والتي اشتملت علي أهم النتائج والتوصيات، ومراجع البحث، وأخيراً فهرس البحث المتعلق بموضوعاته.

وبعد: فلست أزعم أني أنظر إلي بحثي هذا بعين الرضا التام، فالكمال لله تعالي وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله عليهم السلام، ولكن حسبي أني قد استغرقت فيه أقصي طاقتي، وبذلت فيه قصارى جهدي، فإن كنت قد أصبت فالفضل لله تبارك وتعالي وحده، وإن كانت الأخرى فعذري أني قصدت الخير ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا

تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١)

والله أسأل أن يوفقنا إلي صالح القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

تمهيد

من المفيد الإشارة، في مستهل هذا البحث، إلى أن دراسة مصداقية الوقائع التاريخية للتوراة يستلزم بالضرورة البدء بعرض عدة إشكاليات تتعلق بالتاريخ اليهودي، وهذا في حد ذاته يوضح إطارًا معرفيًا مُهمًا في التعامل مع مُسَلَّمات هذا التاريخ ومقولاته، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بقدسية هذه الوقائع التاريخية –حسب المعتقد اليهودي–.

أولاً: جوهر المنهجية التاريخية التي على نقيض المنهجية العقائدية:

ارتبط منهج النقد التاريخي في الكتابة التاريخية بالعلوم الدينية، واستُخدم منهج المحدثين في توثيق الحديث بالارتكاز على الإسناد القائم على الجرح والتعديل، وكان الهدف هو التمييز بين الأخبار الصحيحة والزائفة، خاصةً الأخبار الواردة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، لكونها أساس إصدار حكم ديني / شرعي.

وقد طرأت طفرة نوعيه في منهج النقد التاريخي في الكتابة التاريخية العربية الإسلامية على يد ابن خلدون[١] (ت ٨٠٨هـ) الذي رفض الإسناد وربط منهج الكتابة التاريخية بطبائع العمران والعلم بقواعد السياسة والطبائع وعوائد البشر وأنشطتهم، وأفكارهم ومذاهبهم، وبالتالي جعل العمران البشري مقياساً لتمحيص الأخبار والروايات[٢].

(١) ابن خلدون: مؤرخ وفيلسوف تونسي، وُلِد في عام ١٣٣٢م وتوفي في عام ١٤٠٦م، يُعتبر مؤسس علم الاجتماع بفضل تحليلاته العميقة للمجتمعات والتاريخ، أشهر أعماله هو كتاب "المقدمة"، الذي يُعد من أعظم الأعمال الفكرية في التاريخ، ينظر: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م، ص٤.

(٢) مفهوم التاريخ وتاريخ المفهوم في العالم الغربي من النهضة إلى العولمة، التيمومي الهادي، ص٢٤ –٢٦، دار محمد علي للنشر، ٢٠٠٣م.

أما في الفكر التاريخي الأوروبي فقد عرف منهج النقد التاريخي طفرات نوعيه ضمن الفكر التاريخي الأوروبي، ويمكن إجمال هذه الطفرات النوعية في ثلاث محطات، أولاها بدأت مع عصر النهضة[١]. والثانية مع المدرسة الوضعانية[٢]. والأخيرة مع مدرسة الحوليات[٣] والتاريخ الجديد.

(١)عصر النهضة، أو العصر الذهبي للعرب: فترة زمنية طويلة من التاريخ الإسلامي والعربي، تمتد من القرن الثامن الميلادي حتى القرن الثاني عشر الميلادي. خلال هذه الفترة، شهد العالم العربي ازدهارًا كبيرًا في العلوم، والفنون، والأدب، والفلسفة، ينظر: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أحمد عبد الرازق أحمد، دار الفكر العربي– القاهرة، ط١، ١٩٩١م، ص ١٢.

(٢) هي واحدة من المدارس الرئيسية التي تركز على دراسة العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات من منظور وضعي. تهتم هذه المدرسة بفهم كيفية تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على سلوك الأفراد والجماعات، ينظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيمومي، دار التنوير– لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ص٨١.

(٣) مدرسة الحوليات: مجموعة من المؤرخين الذين يتميزون بتقنية الحولية، وهي تقنية تتعلق بتحليل وتفسير الأحداث التاريخية من خلال مراجعة الوثائق والمصادر المختلفة. هذه المدرسة تسعى إلى تقديم صورة شاملة ودقيقة للتاريخ من خلال استخدام مصادر متعددة ومتنوعة، ينظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيمومي، ص١٧٧.

أما بالنسبة إلى الأولى، فقد أرسى مؤرخو النهضة علم نقد الوثائق الذي يبين الصحيح من تلك الوثائق والمدلس منها، ودراسة الحبر واللغة والكرونولوجيا[١] والعبارات المستعملة في تلك الوثائق[٢]. وكان ذلك أولى الخطوات المهمة التي خطها علم التاريخ علماً بالمعنى الحديث، والتي جاءت أساساً من تلك الفئة من الرهبان البندكتيين[٣] المعروفين باسم رجال القديس سانت مور[٤]، وهم الذين نشطوا في الدور الأول من مراحل النقد التاريخي في تجميع مصادر التاريخ الفرنسي، وجاء سبقهم في المدرسة الناقدة[٥] لأنهم امتازوا

---

(١) الكرونولوجيا: هي دراسة تسلسل الأحداث الزمنية في التاريخ أو في حياة شخص ما، وتعتمد على ترتيب هذه الأحداث بطريقة محددة تشمل السنوات والشهور والأيام والساعات والدقائق، وتتناول هذه الدراسة أيضاً تأثير الأحداث الزمنية على تطور الحضارات والمجتمعات والثقافات والعادات والتقاليد، ينظر: قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل –بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ج٣٦، ص١٨٩.

(٢)تطور الإنجيل المسيح بن الله أم ملك من نسل داود؟ دراسة مقدمه وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل تكشف مفاهيم مثيرة، أينوكبأول، ترجمة / أحمد أيبش ، دار قتيبه، ص٤٥ .

(٣) البندكتيين: جماعة دينية تأسست في القرن السابع الميلادي من قبل القديس بندكت القبطي. هذه الجماعة تتميز بتركيزها على العبادة والرهبنة والتقوى. يعتبرون أنفسهم جزءًا من الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، ولكنهم يتبعون تقاليد وتعاليم خاصة بهم، ينظر: قصة الحضارة، ج١٤،ص ٣٤١.

(٤) السير توماس مور (Sir Thomas More): كان قائداً سياسياً ومؤلفاً وعالماً إنجليزياً، عاش في القرن السادس عشر، وهو قديس حسب الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. عارض طلاق هنري الثامن لكاثرين من آراغون، ورُفض الاعتراف به كرئيس للكنيسة الرومانية الكاثوليكية في إنجلترا، فحبس وقطع رأسه في برج لندن، ينظر: قصة الحضارة، ج١٢، ص ٢٣١.

(٥) هي طريقة علمية لتحليل النصوص التاريخية لفهم السياق التي نشأت فيه، والتعرف على =

بعدم تمجيد مدينة معينة أو إقليم أو أسرة... وكان رائد هؤلاء العلماء المؤرخين حنا مابيلون (١٦٣٢ – ١٧٠٧) Mabillon صاحب كتاب (إنها الدبلوماسية– De re diplomatica) الذي وضع مع Luc D'achery أسس علم الوثائق السياسية، أو الطريقة الناقدة للتحقق من صحة الوثائق.

وقد اقتصر معظم جهد الرهبان البندكتيين على النقد الخارجي، أي فحص مدى صحة الوثيقة وأصالتها وعدم تزويرها، وكانوا يعتبرون أن المادة التي يحتويها أي مصدر أصلي كأنها حقيقة مُسلم بها غير قابلة للطعن(١).

وهذا الفحص الخارجي للنصوص صرفهم عن متون النصوص ومدى صحتها وواقعيتها وصحة نسبتها إلى الوحي الشريف، فضلا عن الآثار التي لا تحمل كتابة ، وليس فيها أي تعبير عن مقاصد الإنسان، فلم يكن يعيروها أهمية، ونظرا لأنهم لا يتعاملون إلا مع الآثار التي خلفها الإنسان الواعي العاقل.

كما أن المؤرخ الإنسي(٢) لا يتعامل إلا مع الآثار التي خلفها الإنسان الواعي العاقل، أما الآثار التي لا تحمل كتابة، وليس فيها أي تعبير عن مقاصد الإنسان فلم يكن يعيرها أهمية ولا ينظر إليها، كما أن انخراط المؤرخ الإنسي في الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت جعله يسقط في مهاوي الجدل الديني العقيم،

=

صحتها ودقتها، وتسعى إلى تفسير النصوص في ضوء الظروف التاريخية والاجتماعية التي كتبت فيها، ينظر: النقد التاريخي، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات– الكويت، ط٤، ١٩٨١م، ص ٢٣.

(١) إلمزبارنز هاري، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج، ج٢، ص٤٩ – ٥١، ١٩٨٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) مصطلح يستخدم للإشارة إلى مؤرخ يكتب تاريخ الإنسانية أو تاريخ البشرية.

وأصبح همه منصباً على البحث في الماضي عن الحجج لمقارعة الخصوم[١]؛ لدحض شبههم وإفحامهم وإلزامهم لتزداد مكانتهم عند أتباعهم ومريديهم.

أما بالنسبة إلى المدرسة الوضعانية[٢] فقد كانت من المدارس التاريخية التي وضعت أهم أسس النقد التاريخي، وقد عُرِضت أهم مبادئها من طرف G.Monod و G.Fagniez وغيرهما... وقد اكتملت هذه المبادئ في كتاب (introduction aux wtudeshistoriques)

لـCH–V.Langois و CH.Seignobos، وانصب اهتمام هذه المدرسة على الارتقاء بالتاريخ إلى مصاف العلوم الدقيقة، والوصول إلى الموضوعية المطلقة في علم التاريخ. ووضعوا ضوابط صارمة لتحقيق ذلك تختلف تماما في جوهرها.

"استنادًا إلى (ترولتش (E. Troeltsch)، يمكن اختصار جوهر المنهجية التاريخية التي على نقيض المنهجية العقائدية، بالمبادئ الثلاث التالية:

النقدية (critique)، أي الشك المنهجي بما هو معطى من التقليد.

المماثلة (analogie)،(المماثلة المبدئية لكل الأحداث التاريخية).

السببية (causalite)، أي ضرورة إعادة توجيه كل أمر تاريخي إلى أمور تاريخية أخرى"[٣].

---

(١) المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيمومي، ص٢٩ – ٣١.

(٢) وأما بالنسبة للمدرسة الوضعانية : فقد ظهرت في ظل الحركات القومية التي شهدتها أوربا خلال القرن التاسع عشر، وخاصة في إطار الجمهورية الفرنسية الثالثة، ينظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيمومي، ص٨٣.

(٣) المسيح التاريخي، الأب أيوب شهوان، ص٤.

ولعل هذه الأمور وغيرها هي ما يبرر النقل غير الدقيق للأحداث تارةً والصحيح تارة ثانيةً، والمتأرجح في صحته ثالثةً والمشوب بالخفاء رابعةً، كل ذلك في سبيل غاية وهدف يسعى المؤرخ إلى تحقيقه.

ثانياً: النظرية في القصص التوراتية:

تتنازع القصص التوراتية التاريخية نظريتان، تذهب إحداها إلي تصديق الوقائع بوصفها تاريخاً مقدسًا لا يصح المساس به، أو التعرض إليه و بما قد يحرف المعني عن سياق بنائه النصي والمعلوماتي و القائم علي سرد الحدث التاريخي المباشر دون تدخلات، أما النظرية الأخرى، فترى إمكانية مناقشة هذه الوقائع ونقدها استناداً إلي منظومة الحقائق التاريخية التي اكتشفت حديثاً وتباينت نتائجها مع الرواية التوراتية، واعتماداً علي مرتكزات علمية أبرزتها الاكتشافات الآثارية الحديثة، وهاتان النظريتان قد أظهرتا فريقين متناحرين كل منهما يريد الانتصار لمبادئه ونظريته بغض النظر عن مدى الصحة أو الخطأ.

هذا من جانب تضاد النظريتين وعدم تقابلهما، وبالتالي الخلاف والاختلاف بينهما ضمن سياقات تاريخية عديدة وشواهد واضحة وحقيقة، فهذا الجدل لا يلغي أهمية النص التوراتي في معرفة كثير من الأحداث التاريخية، والوقائع التي مرت عبر قرون من الزمان، ولكنه في نفس الوقت يظهر ضرورة العناية والاهتمام بالمادة التاريخية، كونها سجل الأجيال والأحداث، وفي الجانب الآخر يظهر التهاون في توثيق الرواية التاريخية التوراتية بما لا يدع مجالاً للشك بما حصل من تلاعب وتضارب في نصوصها، أدي إلي اختلاف الحقائق وتداخلها وانهيار شواهدها المتعلقة بموثوقية هذه الروايات التاريخية.

هذا الاتجاه الأول الذي يُعلي من أهمية الرواية التوراتية في تقديم الأحداث، يَنظر إليها أصحابه بوصفها مستنداً توثيقياً مقدساً للأحداث والوقائع، ومن هذا المنطلق سوف يلاحظ أن الرواية التاريخية للتوراة تستند إلي حدث ما ثم تستنتج حوله بنية النص التوراتي ، والناظر في الكتاب المقدس يرى أن الرواية

التاريخية فيه إنما هي محض عمل أدبي قديم الممارسة أكثر من كونه سندا تاريخيا مقدسا –كما يعتقدون– مما يبطل توثيقهم للأحداث والوقائع ويوهن من استنادهم عليها، مما يجعلها محل نظر وتمحيص، وتخرج من دائرة قطعي الدلالة قطعي الثبوت، إن الرواية التاريخية في الكتاب المقدس إنما هي عمل أدبي قديم الممارسة أكثر من كونه مستنداً تاريخياً مقدساً – كما يعتقدون وهذا ما سيتم تناوله في هذه الدراسة – إن شاء الله – عبر دربها الذي تسلكه.

وعلى أية حال، "فعلينا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخي، أن نتخلص من الهالة التي أسبغها عليها المؤمنون بها، وأن ننظر إليها كما ننظر إلى غيرها من المصادر التاريخية، ولا يهمنا هنا أن تكون التوراة كتاباً مقدساً أو لا تكون، فذلك شأن من يريدون أن يروها في نصها الراهن على هذا النحو أو ذاك، ولكن الذي يهمنا هنا ألا تكون كتاب تاريخ يحاول أتباعه فرض مضمونه على الحاضر والمستقبل، كما حاولوا فرضه على الماضي، وإذا كان ما يعزي للتوراة من قيمة تاريخية لا يجدله سنداً، إلا فيما يزعم لها من قداسة، فالذي لا شك فيه أن هناك ثمَّة علاقة بين قيمة التوراة ككتاب تاريخ، وقيمتها ككتاب مقدس، ذلك أنه كلما تدعم قيمتها ككتاب مقدس تضاءلت الريبة في صدق ما تضمنته من وقائع وسهل وصول هذه الوقائع إلى يقين الناس على أنها من حقائق التاريخ التي لا ينبغي إنكارها"، وبسبب هذه القداسة استغل الاستعمار الغربي والصهيوني أتباع المسيحية وغيرهم من خلال نهب الأموال والثروات باسم الدين واحتلال البلاد وثرواتها خاصة البلاد العربية استنادا إلى ما في التوراة من قصص تاريخية ذات قداسة لا مجال للشك فيها –كما يدعون–، وليس لأي أحد مهما كانت مكانته أن ينظر فيها أو ينقضها أو يفسرها؛ لأن هذه من سلطة رجال الدين وحدهم دون غيرهم، حتى قامت الثورة على الكنيسة، فأنتجت لنا مذهبا جديدا هو (البروتستانت).

كذلك استغلت الحركة الصهيونية هذه القداسة أيما استغلال من خلال الترويج لحقها المزعوم في إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين، استنادا على ما في التوراة من نصوص، ولكن أي قيمة تبقى لتاريخ لا يجد سندا له، إلا فيما يزعم لكتاب واحد من قداسة، وهي تعد قداسة توجه إليها سهام الريب من أكثر من جانب، وليس بالوسع القول بأنها ترقى إلى الشك فيهما، ما فوق مظان الشبهات(١).

وهكذا ظلت معلوماتنا تأتي عن تاريخ الشرق القديم مستمدة من المصادر الاغريقية والرومانية (المصادر الكلاسيكية)[٢]، إضافة إلى ما تضمنه كتاب التوراة من أخبار متفرقة. ولم تكن هذه المصادر موثقة بما فيه الكفاية، لأن تدوينها لم يعتمد المنهج العلمي في التدقيق والتمحيص وتقصي الحقائق، كما هو شأن علم التاريخ الحديث، بل اعتمد على الأخبار المنقولة والقصص المتداولة والمشاهدات الشخصية العابرة، وتداخلت فيها الأهواء الشخصية للمؤلفين. إلى أن ظهرت التنقيبات الأركيولوجية[٣] في المنطقة التي عزتها حملة نابليون أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨م، وما نتج عنها من حل رموز الكتابات الشرقية وفهم لغاتها،وفك رموز حجر رشيد، قد وصلتنا بالحضارات القديمة مباشرة من

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم، د/ محمد بيومي مهران، ص٣٠، ٣١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب . ت.

(٢) المصادر الكلاسيكية: هي الأعمال الأدبية والفلسفية والتاريخية التي كتبت في العصور القدمة، وغالبا ما تعبر عن الثقافات الغربية، مثل: الإلياذة، وحوليات لتاسيتوس، ينظر: تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، ط٢ ، ٢٠٠١م، ص: ١٨.

(٣) التنقيبات الأركيولوجية: هي الكشف عن تاريخ البشرية وفهمه من خلال دراسة البقايا المادية مثل: العظام، الفخار، الأدوات الحجرية، ينظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م، (٣/ ١٧٦).

دون وسيط، وأمدتنا بحقائق لا يمكن الشك بصحتها. وقد تكونت لدينا الآن وبعد أكثر من قرن ونصف من بذل الجهود المتضافرة لعلماء الآثار والتاريخ واللغات القديمة، صورة واضحة عن تاريخ وحضارات بلاد الشرق القديم. وبشكل خاص، لعبت الوثائق التاريخية التي دونتها تلك الشعوب عن أحداث زمنها دوراً أساسياً في معرفتنا بها وبحضاراتها ومجريات تاريخها وتاريخ الشعوب التي احتكت بها.

ولقد حُلت منذ زمن الكتابات الهيروغليفية المصرية والحثية، والمسمارية، السومرية والأكادية والأشورية والأوغاريتية، والأبجدية الكنعانية والآرامية، وفُهمت لغاتها، وقُرئت نصوصها وصُححت قراءاتها مراراً وتكراراً[١]من قبل علماء كرسوا حياتهم لهذه الغاية، وبنت أجيال من المختصين عملها على إنجاز من سبقها وطورته وفق المستجدات والمستحدثات، حتى صارت قراءتنا لنصوص الشرق القديم إلى حالة من الاستقرار لا يطاله نقض جذري، رغم بقائها منفتحة على التعديل والتنقيح مما يطال الغوامض والاشكالات الطفيفة من دون الأساسيات.

ومن هنا، فنحن نرى أنه من التعميم الظالم أن تتهم كل هذه الجهود بالانطلاق من وجهة نظر توراتية والسير في ركاب علماء التوراة، لأن الواقع في معظم جوانبه هو عكس ذلك تماماً. فلقد كان اكتشاف رقم سومر وبابل وآشور وماري وأوغاريت، بداية لظهور اتجاه علمي جديد فينقد كتاب التوراة وتمحيصه بمنهج منفتح بعيد عن التعامل مع التوراة ككتاب مقدس، وتمت إعادة النظر في مجمل معطياته التاريخية والادبية والدينية على ضوء النصوص المكتشفة[٢].

(١) جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب، فكري آل هير، ص٢٩، ٢٠١٨م، ب. ط.

(٢)المرجع نفسه، فكري آل هير، ص٣٠، ٢٠١٨م، ب. ط. بتصرف بسيط.

إن دراسة الوثائق، من خلال منظور يهدف إلى اكتشاف ارتباطها بعضها بالبعض الآخر، وكيف يمكن تقييم محتوياتها، كلاً على حده، هو مهمة تتصل بالنقد الأدبي والفيلولوجي (نقد النصوص) أكثر من اتصالها بعلم التاريخ.

ولكن من الافتئات على الحق أن يدعي داع بأن نتائج دراسة هذه الوثائق ليس لها أي مدلولات تاريخية، بل في الواقع أن هذه الوثائق تنتمي بالفعل في حد ذاتها إلى علم التاريخ، فلا ريب أن تأليفها كان قد جرى في زمن معين ومكان معين، على أيدي أشخاص لم يكونوا منعزلين بأي حال من الأحوال عن المجتمع أو العالم المحيط بهم.

من خلال هذا المفهوم، فإن العلائق المتبادلة ما بين التوراة وطبيعة أصولها تنتمي كلها إلى علم التاريخ. غير أن محتواها نفسه ينتمي إلى علم التاريخ من مفهوم آخر أيضاً. وهذا ما تحاول الدراسة بحثه.

ثالثا: الصلة العضوية بين التاريخ والديانة:

هناك من الأديان من ينشأ في سياق تاريخي معين، وتحت شروط معينة، ثم تأخذ معتقدات هذا الدين في التغير والتطور حتى تكتسب صيغتها الأخيرة التي لا تبدي استجابة للتغيير إلا في حدود الاجتهادات التي تطال المظهر من دون الجوهر. من هنا، فإن فهم أي دين مرتبط إلى هذا الحد أو ذاك بفهم الشروط التاريخية التي أحاطت بولادته ونشأته وتطوره. تغدو هذه المسألة أكثر حيوية وأهمية في دراستنا لليهودية، وذلك بسبب الصلة الوثيقة التي يعقدها كتاب التوراة بين هذا الدين وتاريخ شعب معين هو (شعب إسرائيل). وقد صارت هذه الصلة إلى درجة من القوة بحيث يصعب على قارئ التوراة التمييز بين الدين والتاريخ[1].

(١)الوجه الآخر للمسيح، فراس السواح، دار علاء الدين للنشر– سوريا، ط١، ٢٠٠٤م، ص٩٧.

فمثلا "تحدثت التوراة في كثير من أسفارها عن العرب وعلاقتهم بالإسرائيليين، كما جاء في أسفار التكوين والخروج والعدد ويشوع والقضاة وصموئيل – الأول والثاني – والملوك – الأول والثاني – وأخبار الأيام – الأول والثاني – ونحميا والمزامير وأشعياء وإرمياء وحزقيال ودانيال والمكابيين – الأول والثاني"[١]– .

ولكن أي حد تكتسب الرواية التوراتية مصداقية تاريخية في موضوع مثل هذا بكل تفصيلاته؟ وإلى أي حد نستطيع الوثوق بالمخطط التاريخي العام لتكتشف الرسالة الروحية في التوراة كما رسمه لنا محرروه؟ ما هو السياق التاريخي البديل لنشوء اليهودية؟ وما هو المدى الزمني والجغرافي الحقيقي لانتشار اليهودية؟ هل دانت فلسطين يوماً باليهودية؟ هل كان لليهود كيان سياسي في فلسطين في يوم من الأيام، ومتى وأين؟ هذه كلها تساؤلات تحتاج إلى إجابة[٢].

وحتى وقت قريب كان الباحثون التوراتيون، والمؤرخون، على حد سواء، مقتنعين إلى هذا الحد أو ذاك بالطابع التاريخي للرواية التوراتية، وبالصلة العضوية بين الديانة اليهودية وتاريخ شعب إسرائيل كما ترسمه هذه الرواية، غير أن المعلومات الآثارية والتاريخية التي توفرت بين أيدي الباحثين خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وبخاصة منذ أوائل ثمانينياته، قد قادت العديد من المؤرخين وعلماء الآثار الراديكاليين[٣] في الغرب، إلى الفصل بين الصورة

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم، د/ محمد بيومي مهران، دار المعرفة، ط٢، ص٢٩.

(٢)الوجه الآخر للمسيح، ص٩٧.

(٣) هم الباحثون المتخصصون في دراسة الآثار والتاريخ من منظور راديكالي، وهو نهج يركز على تحليل الأدلة والمعلومات بشكل نقدي ومنهجي، يتضمن استخدام الأدلة الأثرية والنصية والتاريخية لفهم الحضارات القديمة، ينظر: قصة الحضارة (٤٢/ ١٢٦).

التاريخية لإسرائيل القديمة وصورتها التوراتية، وكلما كانت هذه المعلومات تتراكم ويتم الربط بينها، تبين للباحثين صعوبة ملاءمتها مع الرواية التوراتية عن أصول إسرائيل.

ومن هنا فلا يمكن، في الواقع، لعلم الآثار تقديم معلومات وافية وصلبة عن جماعة تدعى إسرائيل عاشت في حدود الألفية الثانية ق.م في مكان ما من الشرق القديم، جنوب بلاد الشام، فما يقدمه النص الديني ليس سوى شذرات مبتسرة وذاكرة واهية غير واضحة ومحددة المعالم ولا تحظى بدعم من خارج النص الذي يعكس، بصورة أساسية وقائع عصره لحظة تدوينه كتعبير منطقي عن احتياجات من عاشوا في تلك الفترة، أما التوصيفات المعنية بأحداث أقدم فهي مطمورة، في واقع الحال، بين ثنايا النص الأحدث.

ولهذا تبرز الصعوبات من خلال التأويل النصي المتحيز للقى الآثارية، فالآثاري لا يتعامل مع النص كبنية أثرية، بل إن جل ما يهمه الثقافة المادية المندثرة التي سوف تتجسد لاحقاً، ربما، في نص مدون أحدث، ووفقاً لهذا يمكننا إعادة بناء "المادة التاريخية" عن مدن مثل حاصور ولخيش وجازر ومجدو[1] وغيرها، بعيداً عن تفسيرات (يغال يادين) الإيديولوجية القومية المحافظة والتي ترى، على سبيل المثال، أن تدمير حاصور يعود إلى "فترة الغزو التوراتي" (افتراضياً حوالي ١٢٢٥ ق.م) حسب الإصحاح ١١ من سفر يشوع "١٠ ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالشيف، لأن حاصور كانت قبلا رأس جميع تلك الممالك".

(١) هذه المدن تقع في منطقة الجزيرة السورية، وتشتهر بتاريخها العريق، ينظر: معجم البلدان (٢/ ٩٤).

هذا فيما يخص إسرائيل كجماعة بشرية، أما فيما يخص إسرائيل ويهودا الدولة بحسب التاريخ التوراتي وروايته، فيمكن القول (أن الدراسة النقدية المدققة للأسفار التوراتية، ولنصوص الحملات الآشورية على فلسطين خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، تبين لنا أن المساحة التي شغلها كل من إسرائيل ويهودا لم تتعد المناطق الهضبية إلا على شكل مد استعماري قصير الأجل ومنقطع، لم يتوصل إلى استيعاب سكان المناطق المستعمرة وضم أراضيه بشكل كامل، وبشكل خاص فقد كانت منطقة الجليل منذ القرن العاشر تحت السيطرة غير المباشرة لكل من مملكتي صور ودمشق، بحيث بسطت دمشق نفوذها السياسي على الجليل الشرقي، وبسطت صور نفوذها على الجليل الغربي. أما بخصوص وادي يزرعيل (مرج ابن عامر) الذي يفصل مرتفعات السامرة عن مرتفعات الجليل، فقد تحكمت صور بمدينة يزرعيل الواقعة عند مدخل الوادي غرباً والتي يمر بها الطريق التجاري الساحلي قبل صعوده إلى فينيقيا، وتحكمت دمشق ببقية المدن وصولاً إلى بيت شان عند مخرج الوادي شرقاً. وعندما شعر ملوك السامرة بالقوة توسعوا شمالاً باتجاه وادي يزرعيل والجليل؛ ولكن بقائهم في هذه المناطق لم يدم طويلاً لأن الحملات الآشورية المتوالية التي قادت أخيراً إلى سقوط السامرة، قد حرمتها من جميع ممتلكاتها الشمالية قبل أن تجهز عليها)[١].

مما سبق يمكن القول بأن (إسرائيل القديمة) المذكورة في الدراسات التوراتية ما هي إلا اختراع عقول العلماء، وأن هذا الاعتقاد قد بُني على فهم خاطئ للتراث التوراتي، وهو بعيد كل البعد عن الحقائق التاريخية.

(١) اختلاق إسرائيل القديمة، ص٢٦.

المبحث الأول

التَّعْريف بالتوراة، وأهم محتوياتها، وأسس نقدها

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتوراة.

المطلب الثاني: أهم محتويات التوراة.

المطلب الثالث: أسس نقد التوراة والعهد القديم.

المطلب الأول: التَّعْريف بالتوراة:

إذا كانت المصطلحات والمفاهيم تعد من بين الأدوات النظرية اللازمة للبحث العلمي، فإن مصطلح التوراة وبما يحمل من مضامين تتعلق بالبحث الحالي يجب أن يكون في مستهل المصطلحات التي ينبغي التعريف بها في هذا البحث والإشارة إليها ولو على نحو مختصر.

وعليه يمكن القول أن التوراة تشتمل على ما يلي:

١- المكون وأصوله:

تتسم اليهودية بتعدد كتبها الدينية المقدسة. ويعود هذا إلى عدة أسباب من أهمها فكرة العقيدة الشفوية التي تضفي القداسة على كتابات الحاخامات واجتهاداتهم، بل إنها تساوي الاجتهاد البشري (التلمود) بالوحي الإلهي (التوراة). فأهم كتب اليهود المقدسة التوراة، وتنقسم إلى: أسفار موسى الخمسة وهي أهمها وأكثرها قداسة، ثم كتب الأنبياء، وهي أكثر الأسفار توحيدية، وأخيرًا كتب الحكم والأمثال والأناشيد، وبعد انتهاء تدوين العهد القديم واعتماده ظهرت كتب الرؤى وغيرها من الأسفار التي استبعد بعضها وأصبحت تسمى الكتب الخارجية أو الخفية (أبوكريفا) أو غير القانونية، وسمي بعضها الآخر الكتب المنسوبة (سيود إبيجرفا)، ومعظم هذه الكتب ذو أصل شعبي واتجاه حلولي واضح[١].

٢- التعريف ومدلوله:

التوراة: أو (التورة) كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الخمسة الأولى (التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية)، والتي تنسب إلى موسى – عليه السلام – وهي جزء من العهد القديم، والذي يطلق عليه

(١) موسوعة اليهود واليهودية (الموسوعة الموجزة)، د/ عبد الوهاب المسيري، ج١، ط ٣، ٢٠٠٦م، دار الشروق – القاهرة، ص٢٧.

تجاوزاً اسم(التوراة) من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى والتوراة، أو العهد القديم – تمييزاً له عن العهد الجديد كتاب المسيحيين المقدس– هو كتاب اليهود الذي يضم إلى جانب تاريخهم، عقائدهم وشرائعهم، ويقسمه أحبار اليهود إلى ثلاثة أقسام: الناموس والأنبياء والكتابات.

المطلب الثاني: أهم محتويات التوراة

يطلق تعبير التوراة أو (أسفار موسى الخمسة) على أسفار (التكوين) و(الخروج) و (العدد) و(التثنية) و(اللاويين)، سفر التكوين يحكي تاريخ العالم من بدء تكوين السماوات والأرض وقصة آدم وحواء وينتهي بقصة يوسف ومجيئه إلى مصر وإلحاق يعقوب وأبنائه الأحد عشر به واستقرارهم فيها. أما سفر الخروج ثاني أسفار موسى الخمسة فيحكي تاريخ جماعة يسرائيل في مصر، وقصة موسى وذهابه إلى سيناء وتلقيه الوحي الإلهي، حتى يصل إلى خروج اليهود من أرض العبودية، ثم تلقي موسى الوصايا العشرة في سيناء، كما يشتمل على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات.

ثالث الأسفار الخمسة سفر اللاويين، وفيه يتوقف السرد القصصي ليحل محله تناول شئون العبادات وما يتعلق بالأعياد والأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور، وما يتعلق بالطهارة والتعاليم الأخلاقية والنظم الاجتماعية والتعليمات الخاصة بخيمة الاجتماع. رابع الأسفار سفر العدد، وسمي بهذا الاسم لأنه يشتمل في معظمه على إحصاءات عن قبائل العبرانيين وجيوشهم وأموالهم، كما يشتمل على طائفة من الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات. خامس الأسفار سفر التثنية ويتكون من مقدمة تتضمن مراجعة لما حدث عند عبور سيناء، ثم نصائح أخلاقية بينها الوصايا العشر، وتلخيص للتشريع الذي قبلته جماعة يسرائيل، ثم خُطب موسى الأخيرة، ثم أفعال موسى الأخيرة ومعها سرد

لأحداث موته. وهذا السفر يختلف من حيث الأسلوب واللغة عن الأسفار السابقة، بل يناقضها أحياناً[١].

وعليه يمكن الحديث عن محتوى التوراة ومشتملاتها من خلال النقاط التالية:

١ – تاريخ التدوين ولغة الكتابة:

تتضارب الآراء المتصلة بتاريخ تدوين الأسفار، ويرجع ذلك إلى مجموعة أسباب من بينها أن نصوص العهد القديم تم نقلها شفاهة، ولغة الكتاب المقدس (اليهودي) العبرية، وإن كان هناك أجزاء وضعت بالآرامية. وقد قُسم العهد القديم إلى أسفار وإصحاحات وفقرات ومقاطع في القرن الثالث عشر، ويرى اليهود الأرثوذكس أن كلمات العهد القديم كلام الإله الذي أوحى به إلى موسى حرفًا حرفًا، أما اليهود الإصلاحيون والمحافظون والتجديديون فيعتبرون العهد القديم مجرد إلهام من الإله وليس وحياً. ويُعد العهد القديم من مصادر التشريع اليهودي الأساسية[٢].

٢ – المصطلح وارتباطاته:

رغم أن مصطلح (توراة) يستخدم للإشارة إلى العهد القديم فإن استخدامها تغير قبل أن يستقر، فكانت تستخدم للإشارة إلى اليهودية ككل، ثم أصبحت تشير إلى أسفار موسى الخمسة ثم صارت تعني العهد القديم كله، وأصبح المجال الدلالي للكلمة واسعاً جداً، فالقباليون يشيرون إلى توراة ظاهرية وتوراة باطنية، وهي مختلفة تماماً عن التوراة المتداولة بين اليهود، وتحتل التوراة، بمعنييها الضيق والواسع مكاناً مركزياً في الوجدان الديني اليهودي. وتستخدم كلمة (توراة) كذلك للإشارة إلى كل التراث الديني اليهودي، وفي المصادر الكلاسيكية اليهودية

(١) موسوعة اليهود واليهودية (الموسوعة الموجزة)، د/ عبد الوهاب المسيري، ج١، ص٢٧.
(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

لم يكن يشار إلى (اليهودية) وإنما إلى (التوراة)، بل لم يظهر مصطلح (يهودية) إلا في العصر الهيليني. ورغم ترادف المصطلحين فإن ثمة اختلافاً دقيقاً بينهما. فكلمة (توراة) تستخدم للإشارة إلى الجوانب الإلهية الثابتة في العقيدة اليهودية. أما كلمة (يهودية) فتستخدم للإشارة إلى الجوانب التاريخية المتغيرة[١].

٣- سند التوراة أو العهد القديم:

التوراة أو العهد القديم: عبارة عن مجموعة أسفار جمعها رجال المجمع الأكبر الذي تأسس عقب العودة من السبي البابلي، وكان مؤلفًا من مائة وعشرين عضوًا، ينظرون في شئون الشعب ومن أشهر رجاله عزرا ونحميا ودانيال وزكريا وملاخي[٢].

وكان (العهد القديم) قبل أن يكون مجموعة أسفار – تراثًا شعبيًا، لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الأفكار[٣]..

والعهد القديم مقدس لدى اليهود والنصارى، ولكن أسفاره غير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفارًا لا يقبلها أحبار آخرون.

فبعض رجال اللاهوت من اليهود لا يوافقون على ضم سفري (الجامعة ونشيد الإنشاد) لأسفار العهد القديم، وطائفة السامريين لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة؛ أما المسيحيون فإن طائفة الكاثوليك تزيد سبعة أسفار عن البروتستانت[٤]، وهذه الأسفار الزائدة هي (سفر طوبيا و يهوديت والحكمة ويسوع بن سيراخ والمكابيين الأول والمكابيين الثاني والجامعة وباروخ).

---

(١)موسوعة اليهود واليهودية (الموسوعة الموجزة)، ص٢٧.

(٢) أساس الدين، د/ هلال فارحي، ص٨، دار ومكتبة بيبليون –بيروت.

(٣) اليهود تاريخ وعقيدة، د/ كامل سعفان، ص١٣٥، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ب.ت.

(٤) اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص٢٣٠، ١٩٨٨م، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة.

٤- أهمية التوراة:

يمكن بيان أهمية التوراة من خلال طرح سؤال وهو:

أين تتموضع التوراة في واقع اليهودية؟ وما هي مكانتها لدى اليهود؟

وللإجابة على ذلك يمكن القول أن اليهود يسمون أنفسهم شعب التوراة، وأن أي شخص يفشل في دراسته للتوراة أو في التدرب على آدابها يجب أن ينتج عن هذا الفشل احتقارًا وازدراءً ينصب عليه من كل بني إسرائيل، وعلى النقيض من ذلك فإن الذي يبرهن على استيعابها والانتفاع بآدابها ودراستها فهؤلاء يكافأون بشرف التقدير والاحترام من المجتمع الإسرائيلي كله.

وإذا فُرض أن بني إسرائيل سُلبت أموالهم وأملاكهم وكل مصادر ثرواتهم وبقيت لهم التوراة فإنهم الرابحون، وفي سبيل المحافظة على التوراة ورعايتها يرخص كل غال ويهون كل صعب، وأن إله إسرائيل سيكون خير عون لشعبه ما حافظوا على كتابهم المقدس – كما يزعمون، وأن كل جهد يبذل من أجل التوراة ويكون نصيبه الفشل فإن باذله لابد أن يكون متأكدًا من حسن الثواب من الله، وهناك مثل في إسرائيل يقول (إسرائيل والتوراة شيء واحد)، ومعنى هذا أن محتويات التوراة ليست فقط دينا أو عقيدة أو أخلاقًا أو تشريعًا[١].

في ضوء ذلك يمكن القول بوجود اتجاهين رئيسيين: أولهما يمكن تسميته بـ "المعنى الخاص للتوراة" إذ يعرف التوراة بكونها الأسفار الخمسة فقط، أما ثانيهما فيطلق على العهد القديم كله مصطلح التوراة "بالمعنى العام" أو "الغالب" في الاستعمال.

وعليه سيتم إجراء التوراة في البحث الحالي بمعناها العام والذي يعني العهد القديم كله.

(١) اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص٢٥٩.

المطلب الثالث: أُسس نقد التوراة والعهد القديم

يمكن بدأ هذا العنصر بذكر معايير نقد النص التاريخي ليظهر مدى خضوع التوراة لهذه المعايير للوثوق من نصوصها من عدمه.

أود في البداية بيان مفهوم النقد التاريخي، وأهميته، ومنهجه وأدواته؛ حيث يعرف المنهج التاريخي بأنه: ممارسة علمية منهجية ينتقل المؤرخ بموجبه من مرحلة القراءة والاقتباس إلى مرحلة الفحص والتدقيق والتمحيص؛ بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية بحياد تام، وعبر سلسلة من الأدوات المترابطة التي تصنع تاريخا من مادته وحقائقه(١).

فالنقد التاريخي ليس عملية هينة، بل هو التأكد من صحة الحدث ومؤرخه بالحجج السليمة، وإصدار الأحكام سواء مدحًا أو قدحًا، ويتم بأساليب نقدية متعددة ومتتالية(٢).

أهمية النقد للوثائق التاريخية:

تكمن أهمية النقد للوثائق التاريخية في التوصل للحقيقة وتوضيح المعلومات الواردة بما يبين صحتها من تزييفها، وهل توجد أخطاء أو لا، فالتحقيق التاريخي هو وسيلة من أجل دراسة وفهم المصدر من أحداث ووقائع(٣).

ويمكن القول بأن ابن خلدون-رحمه الله- هو الذي وضع أسس وقواعد النقد الخارجي التي سار عليها المؤرخون الأوروبيون في عصر النهضة؛ حيث

---

(١) المستخلص في النقد التاريخي، عارف أحمد المخلافي، ط دار النشر للجامعات- اليمن، ٢٠١٤م، ص٥.

(٢) النقد التاريخي وأهميته في إبراز الحقيقة التاريخية، منصورية قدور، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد٧، العدد١، ٢٠٢١م، ص٥٢٠.

(٣) منهج البحث التاريخي، عاد حسين غنيم و جمال محمود، ط١، دار المعرفة التاريخية- مصر، ٢٠٠٧م، ص٣٧.

يقول ابن خلدون معاتبا المؤرخين فيما وقعوا فيه من أخطاء وأوهام:" كثيرًا ما وقعوا عند نقلهم للوقائع والحكايات؛ لاعتمادهم على مجرد النقل، وأنهم لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها على أشباهها، فضلُّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، فإن النفس إن كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر، حتى يتبين صدقه من كذبه؛ لذا علينا التدقيق في كل الأخبار للتأكد من صحتها ومن الأسباب المقتضية للكذب، وتمحيص ذلك يرجع إلى منهج التعديل والجرح"(١).

ويقول في موضع آخر:" ينبغي على المؤرخ أن يكون على حذر عند نقله الأخبار؛ لأن مجال التشويه واسع، والنفس البشرية سهلة الانخداع لما فيها من نقاط الضعف وأن نفوس الناس تسرع إلى التصديق؛ لأن المحاكاة والتقليد من طبائعها، ولأن الغالبية تجهل أصول التحقيق والتاريخ والقوانين الاجتماعية التي تفرق بين المعقول وغير المعقول من الحوادث، كما أن النفس مولعة بكل عجيب وغريب"(٢).

منهج النقد التاريخي وأدواته:

يشتمل النقد التاريخي على أمرين هما:

الأول النقد الخارجي السطحي: وهو عبارة عن إثبات صحة الأصل التاريخي (الوثيقة)، وذلك بتحديد مصدر الوثيقة.

الثاني النقد الداخلي: وهو عبارة عن نقد الحقائق الواردة في الوثيقه.

وفيما يلي الحديث عن هذين الأمرين بشيء من التفصيل:

---

(١) المقدمة، ابن خلدون، ت: علي عبد الواحد وافي، ط دار الشعب– القاهرة ١٩٦٢م، ص ٤١، ٤٢.

(٢)المرجع نفسه، ص ٢٨، بتصرف.

١-النقد الخارجي السطحي:

فمن خلال هذا النوع من النقد يطرح الناقد عدة تساؤلات حول الوثيقة التاريخية التي بين يديه وهي: هل الوثيقة أصلية أم نسخة منها؟ وهل هذه النسخة مطابقة لأصل أو لا؟ وهل ظلت هذه الوثيقة على حالها أثناء تأليفها أم تغير منها شيء؟ وبالإجابة عن هذه التساؤلات يمكن التأكد من الوثيقة ومعرفة ما إذا تسلل إليها تحريف وتزييف أو لا، وتحديد مواطنه، كما يمكن التعرف أيضا على أصالة الوثيقة من عدمها.

ولكي يقوم الناقد بهذه العملية ينبغي أن يكون ملمًا بمجموعة من القواعد والضوابط(١).

ومن الخطوات التي يمر بها الناقد عند نقده ما يلي:

- إثبات صحة الوثيقة، وذلك عن طريق علوم مساعدة (كعلم الخط، وعلم فقه اللغة، وعلم الوثائق، وتحليل مادة الورق والحبر، ودراسات المصطلحات...)، فينطلق الناقد من مبدأ الشك لإثبات الاصول(٢).
- إثبات تاريخ الأصل: أي معرفة البعد الزماني لوقائع الأحداث، فكثير من الوثائق لا تحمل تاريخًا(٣).
- تعيين المكان الجغرافي للوثيقة للوصول إلى الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية(٤).

(١) مصطلح التاريخ، رستم أسد، ١٩٥٥م، ب.ط، ص ٣٥.

(٢) النقد التاريخي وأهميته في إبراز الحقيقة التاريخية، منصورية قدور، ص٥٢٩.

(٣) التاريخ ومنهج البحث التاريخي، يزبك قاسم، د.ت، ص ١٠٤.

(٤) منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، ط دار المعارف – القاهرة ،١٩٨٠م، ص ١٠.

- تحديد هوية مؤرخ كاتب الوثيقة فإن كان مجهولا يجب على الناقد أن يبحث في الوثيقة ذاتها عن طريق تدقيق الخط واللغة والمضمون والتعريف بالاسماء والشخصيات الواردة فيها والمطابقة بينها وبين وثائق أخرى(١).

٢- النقد الداخلي للوثيقة:

وهو على نوعين إيجابي وسلبي، فالإيجابي يفسر النص والسلبي يكشف الستار ودرجة تدقيق المؤلف في روايته(٢).

- فالنقد الإيجابي معناه فهم المتن بعدما تعرف المحقق على هوية صاحب الوثيقة وتاريخها وزمانها وفهم النص يكون على مرحلتين، أولهما: تحديد المعنى الحرفي للنص بشرح كل كلمة أو لفظة غريبة وردت في النص على حده شرحا لغويا، وبعده تحديد المعنى الحقيقي أو الإجمالي، ولا يتم إلا بتحليل النص، ومعرفة الأفكار الأساسية، ومن خلال هذا النقد الباطني الإيجابي يتمكن الناقد من معرفة متن النص أو الوثيقة لغويا واصطلاحيا، ويستطيع بذلك بلوغ المعنى الحقيقي لنص الوثيقة(٣).
- والنقد السلبي وهو درجة متعمقه في التحقيق والهدف منها هو الإلمام اليقيني بالأفكار الواردة في النص ويبحث في نقد كفاءة الكاتب والشاهد على نقل الأحداث ونقد الصدق في احتواء الشهادة على الكذب من عدمه، ثم نقض الدقة التي يبحث بها عن مدى وقوع الكاتب في أخطاء(٤).

---

(١) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ١٩٩٠م، ص ١٠٠.

(٢) علم التاريخ، فاطمة قدورة الشامي، دار النهضة العربية، ٢٠٠١م، ص ٣٥.

(٣) منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، دار المعارف، ٢٠٠٥م، ص١٢١.

(٤) النقد التاريخي خطواته المنهجية والقضايا التاريخية المهيكلة له، د أبجي محمد، مجلة عالم الفكر الكويت(١٦٩/٤)، ص ٣١.

وللوصول إلى هذا ينبغي على الناقد أن يعيد طرح مجموعة من الأسئلة على نفسه منها:

- هل للمؤلف مصلحة ما للكذب وتشويه الحقيقة؟
- هل كان المؤلف في وضع أجبره على الكذب وتشويه الحقيقة؟
- هل تعاطف مع مجموعة من الناس؟

وغيرها من الأسئلة التي تصب في مدى صحة المعلومات الواردة[١].

ومن شأن النقد الداخلي أن يوصل الناقد إلى الحقيقة التاريخية، غير أنه تبقى الحقيقة التاريخية نسبية وليست يقينية[٢].

جاء في التلمود (بابایاترا ١٤ ب – ١٥ أ) أن موسى هو الذي كتب، أي حرر ودون التوراة (أسفار موسى الخمسة) والجزء الخاص عن بلعام وسفر أيوب، وأن يوشع كتب السفر المسمى باسمه وآخر ثماني مقطوعات في أسفار موسى الخمسة، وأن صموئيل كتب السفر المسمى باسمه وسفري القضاة وراعوث، وأن داود كتب المزامير وأنه ضمنها كتابات من سبقوه مثل آدم وإبراهيم، وأن إرميا كتب السفر المسمى باسمه وكتب الملوك والمراثي، وأن حزقيال كتب سفر أشعياء والأمثال ونشيد الأنشاد وسفر الجامعة، وأن أعضاء المجمع الكبير كتبوا (أي حرروا) سفر حزقيال وأسفار الاثنى عشر نبياً وسفر دانيال وسفر إستير، وأن عزرا كتب السفر المسمى باسمه[٣].

وقد قسم علماء التلمود المتناقضات في العهد القديم إلى ما يلي:

(أ) متناقضات تامة، تناقض المقطوعة منها الأخرى تماماً.

---

(١) رستم أسد، ١٩٥٥م، ص ١٣٠.

(٢) النقد التاريخي وأهميته في إبراز الحقيقة التاريخية، منصورية قدور، ص ٥٣٠.

(٣) موسوعة اليهود، موسوعة اليهود واليهودية (الموسوعة الموجزة)، د/ عبد الوهاب المسيري، ط٣، ٢٠٠٦م، دار الشروق – القاهرة، ص٣٠.

(ب) المتقدم والمتأخر، أي افتقار المادة التاريخية في العهد القديم إلى الترتيب.

وفي العصر الحديث، يذهب علماء العهد القديم إلى أن هذا الرأي يتنافى مع القرائن داخل النصوص نفسها. لكل هذا ظهر ما يسمى (نقد العهد القديم)، وهو العلم الذي يهدف إلى دراسة نصوص العهد القديم بوصفها نصوصاً تاريخية على الدارس أن يطبق عليها المعايير التي يطبقها على أية نصوص تاريخية أخرى. كما يهدف إلى اكتشاف التناقضات التي قد توجد بين نص وآخر، وغياب الاتساق بينها، ثم محاولة تفسير هذا في ضوء المعطيات التاريخية. وقد بدأ نقد العهد القديم على يد المؤلف اليهودي القرائي (حيوي البلخي)[١] الذي عاش في القرن التاسع. وقد ظهرت دراسات متفرقة هنا وهناك أهمها دراسة إسحق أبرابانيل (١٤٤٧– ١٥٠٨) الذي قدم أول دراسة علمية لنصوص العهد القديم. وبعد ذلك تسابق العلماء الغربيون في دراسة العهد القديم من وجهة نظر نقدية[٢].

وأثر نقد العهد القديم في اليهودية المعاصرة واضح بيِّن، فاليهودية الإصلاحية تنطلق من قبول نتائجه، وكذلك اليهودية المحافظة أو التجديدية)، وإن تفاوتت درجة قبول النتائج. كما أن الصهيونية وسائر التيارات التي تعرف

(١) حيوي البلخي: هو مفسر وناقد لكتاب المقدس في أواخر القرن التاسع، ولد في (بلخ) ببلاد فارس، وكان يهوديا، وقيل ربما كان من طائفة مسيحية غنوصية، ألف كتاباً فيه ما يزيد عن مائتي اعتراض على الأصل الإلهي للكتاب المقدس والكتب المفقوده، ولم يتبق منه إلا بعض اقتباسات لبعض المؤلفين. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري (١٣/ ٢٥٠)، الأثر العربي الإسلامي في اليهودية "اللغة والأدب أنموذجاً"، وليد مسعود، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية عشرة، العدد ٤٣، مارس ٢٠١٩م (ص١٩٤).

(٢) موسوعة اليهود، ص٣٠.

اليهودية بأنها انتماء إثني أو عرقي، وليس دينياً، تستند إلى نتائج نقد العهد القديم، واليهودية الأرثوذكسية ترفض وحدها نقد العهد القديم عرقيًا، وليس دينياً.

نقد البناء التاريخي للتوراة:

في المستهل ينبغي الإشارة إلى أن الدراسات النقدية للتوراة كانت من الناحية التاريخية حقلًا أكاديميًا متخصصًا بدراسة القضايا ذات العلاقة بهذا الكتاب.

إذ أن أصحاب هذا الحقل العلمي لم بنظروا إلى التوراة بوصفها كتابا مقدسًا مجردًا من النقد، بل نظروا إليها باعتبارها نتاجًا لكتابات وممارسات اليهود في سياق حياتهم وأنشطتهم وتفاعلاتهم بعضهم مع بعض داخل مجتمعهم، ومع غير اليهود في المجتمعات الأخرى.

يضاف إلى ذلك أن هذه الدراسات ذاتها تنطوي أيضا على خلط واضطراب متأصل فيها، فبينما تركز هذه الأعمال النقدية على التحديد الزمني لإسرائيل القديمة، سواء أكان ذلك في بداية العصر الحديدي أو آخره، أو على الفترة الفارسية أو الهلنستية[1]، فإن المحاولات التمهيدية لترويج فكرة الحاجة الماسة إلى فصل الدراسة التاريخية للمنطقة عن الدراسات التوراتية لم تُحل معضلتها بعد، وهذا الإرباك يسهم في إسكات التاريخ الفلسطيني.

لذلك فإن تلك الأعمال النقدية ذاتها متورطة في البحث (الجديد) عن إسرائيل القديمة، بعد فشل هذا البحث الجديد تصبح الحاجة ماسة بدرجة أكبر إلى دراسة تاريخ المنطقة وإعادة صياغة هذه الأعمال وإعادة النظر فيها.

---

(١) الفترة الهلنستية: هي فترة زمنية تشير إلى العصر الذي سقط فيه الحضارة اليونانية القديمة، والتي تعتبر من أهم الحضارات في التاريخ الإنساني. تتميز هذه الفترة بالتقدم الكبير في الفن والعلوم والفلسفة والأدب. تعود أصول الفترة الهلنستية إلى القرن الخامس قبل الميلاد، واستمرت حتى القرن الثاني الميلادي، قصة الحضارة (٨/ ٩).

فقد تركز الجدل على ثلاث فترات مهمة مرتبطة ببعضها البعض: تاريخ التراث التوراتي وعلاقته بالبناء التاريخي، ومغزى لوح مرنبتاح الحجري المنقوش[١](Merneptah stele)،وتفسير المعلومات والدلائل الأثرية الحديثة في عملية البحث عن إسرائيل أو تحقيق التاريخ الفلسطيني.

هناك إدراك واسع الانتشار بأن من المسلمات الرئيسة المتفق عليها في البحث (الجديد) عن إسرائيل القديمة. وهذا جزء من (الأفق الجديد New) (horizon)لـ كوتCoote. رفض التراث التوراتي لإعادة البناء التاريخي لفترة العصر البرونزي المتأخر وبداية العصر الحديدي. فهناك علاقة واضحة ولكن ليس هناك أي إجماع مطلقا على فهم وتأريخ الآثار التوراتية موضع البحث. ونظرة الستروم Ahlstrom التي تفيد أن النص التوراتي هو نتاج الإيمان ولم يكن الهدف منه سرد الحقائق التاريخية أو حفظها (٢: ١٩٨٦)، متفق عليها بالإجماع، لكن ليس هناك إجماع مماثل فيما يتعلق بتفسيراته الأيديولوجية لمسألة الخروج .(1986 :45 – 55) Exodus إضافة إلى ذلك، وبينما يدعي آلستروم أن سفر القضاة ليس له إلا قيمة قليلة للمؤرخ في تصوره للماضي، :75) (1986،فإن مفهومه للمملكة، وتصوره للفترة الانتقالية من العصر البرونزي المتأخر إلى بداية العصر الحديدي، مقيدة تماما بالتراث التوراتي، ويبدو آلستروم Ahlstromفي منهجه قادرا على التقاط المعلومات التاريخية الموثوقة وذات

(١) تعرف أيضًا باسم (لوحة النصر لمرنبتاح) أو (لوحة إسرائيل)، هي نقش مصري قديم أُنشئ حوالي ١٢٠٨ ق.م خلال حكم الفرعون مرنبتاح. تم اكتشافها في (طيبة) (الأقصر الحديثة) من قبل عالم الآثار البريطاني فليندرز بيتري في ١٨٩٦م، وهي موجودة الآن في المتحف المصري في القاهرة، محاضرات في اللغة المصرية القديمة نصوص متنوعة، د/ محمد رجب سيد ص ٢٣.

الصلة، وعلى هذا نجد أن الهدف الأساسي للنص التوراتي لم يكن، بالنسبة لآلستروم، حفظ الحقائق التاريخية.[١]

مصادر أسفار موسى وسفر يشوع في دائرة النقد:

اتفق نقاد العهد القديم على أن أسفار موسى الخمسة وسفر يشوع بن نون ترتد إلى أربعة مصادر أساسية، وهي:

١ – المصدر اليهوي، نسبة إلى يهوه ويرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، ويرجعه البعض إلى القرن العاشر، وكان رواية من المملكة الجنوبية، وتصور الإله فيه قبلي ضيق حلولي وثني. وقصص هذا المصدر متأثرة بالأدب الشعبي والديني للشعوب التي عاش العبرانيون بينها، وهو المصدر الذي يشير إلى أرض كنعان بوصفها أرض إسرائيل.

٢– المصدر الإلوهيمي، نسبة إلى إلوهيم. وقد تم تأليفه حوالي عام ٧٧٠ ق. م في المملكة الشمالية، وهذا المصدر يتسم بالرؤية التوحيدية أو شبه التوحيدية للإله، ويلاحظ على هذا المصدر أولوية البعد الأخلاقي بكل وضوح على البعد الشعائري، ويعنى هذا المصدر بسرد التاريخ الديني الجماعة يسرائيل ويعكس بيئة المملكة الشمالية[٢].

٣– مصدر التثنية، وأدخل هذا المصدر في صميم العهد القديم عام ٦٢١ ق.م، وهو يحاول التوفيق بين المصدرين اليهوي والإلوهيمي وبين تراث الشمال وتراث الجنوب، ولذا فإنه يجمع الاتجاهين القومي العنصري (اليهوي) والعالمي المثالي (الإلوهيمي)، وهو صادر عن وسط مثقف يرتبط بالإصلاح الديني التثنوي الذي حدث عام ٦٢٢ ق.م.

(١) اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ص٢٧٩.

(٢) موسوعة اليهود، ص٣٠.

٤- المصدر الكهنوتي، ويعود تاريخه إلى ما بعد فترة التهجير البابلي، ويضم بصفة أساسية قوانين اللاويين والإحصاءات والأرقام الواردة في أسفار موسى الخمسة وبعض الروايات الواردة في أسفار التكوين والخروج والعدد، وهذا المصدر يستخدم القصص إطاراً للشرائع لإعطائها صفة القدسية، وتتسم صياغاته بالدقة والجفاف والمنطقية. وفيه يرد أول ذكر للأعياد ووصف تفصيلي لخيمة الاجتماع(١).

وهنا يمكن ذكر أهم النتائج التي تمثل خلاصة هذا المبحث وهي:

١- المجال الدلالي لمصطلح التوراة مجال واسع ومختلف في التراث الديني اليهودي.

٢- هناك تضارب واضح في الشأن التاريخي الخاص بتاريخ تدوين أسفار التوراة.

٣- يعتقد اليهود أن التوراة جزء من هويتهم، وأنهم والتوراة يشكلان شعبًا واحدًا هو شعب إسرائيل.

٤- أهمية خضوع التوراة ونصوصها للنقد التاريخي بنوعيه الداخلي والخارجي.

(١)المرجع نفسه، ص٣١.

المبحث الثاني

الطابع التاريخي للتوراة: دراسة نقدية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إشكالية اللاهوت في التاريخ التوراتي

المطلب الثاني: مشكلة تاريخية التوراة.

المطلب الثالث: التراث التوراتي والنقد التاريخي.

من الأجدر الإشارة إلى أن التوراة رغم سبقها التاريخي، وتجذرها على مدار آلاف السنين، لا يغني ذلك كله عن توخي الحذر العلمي والمعرفي في التعامل مع مسلماتها ومقولاتها، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بناحيتين، الأولى العقيدة، والثانية التاريخ.

من هنا فإنه يمكن القول إن: الدراسات النقدية التوراتية قد وضعت التوراة بكل مشتملاتها على المحك، عند الانتقال من الشكل الديني لها إلى إطار العلم والتاريخ، وخاصة أن هذه السياقات العلمية والتاريخية لها من الخصوصية ما يظهر عند طرح ومناقشة نصوص التوراة في نسق نقدي وموضوعي مهم.

وهذا النقد ليس مطلوبًا فقط، بل هو ضروري مثلما يتبين من خلال العلاقة بين التوراة (الكتاب المقدس) والتاريخ (الحقيقة).

إن مثل هذه العلاقة هو الحقل الذي يعمل فيه البحث، ضمن نماذج وأمثلة مختارة تتجه كلها نحو الحقيقة بقطع النظر عن محتوى النص.

لقد قدم هذا البحث نفسه في إطار نقد الطابع التاريخي للتوراة، وهذا يلزم بالضرورة دراسة هذه الإشكالية على النحو التالي:

المطلب الأول: إشكالية اللاهوت في التاريخ التوراتي وامتداده في المسيحية:

احتل التاريخ عند اليهود "جزءًا هامًا من العهد القديم ولم ينفصل عن الدين، لكن العناية الإلهية عندهم مقصورة على(الشعب المختار)، وأحداث التاريخ تتخذ مسارًا مستقيمًا يستهدف العودة إلى(أرض الميعاد)، وأن يهودا تدخل في وقائع التاريخ من أجل شعبه المختار، وتركز فكرة العناية الإلهية على أن الإرادة العلوية تسيطر على كل شيء وتوجهه نحو هدف معين لا يدركه البشر، لكن إلى أي مدى يتصل التسليم بذلك بدائرة البحث العلمي[١]؟

(١) ما التاريخ وكيف نفسره؟ أحمد زكريا الشلق، ص١٦، ط١، ٢٠١٥م، المجلس الأعلى للثقافة –مصر.

وفي المسيحية برز (التفسير الديني اللاهوتي) في تصوير حياة السيد المسيح كما وردت في الأناجيل وفي أعمال الرسل ونبوءات العهد الجديد، حيث قضية خلق العالم وتسييره وانتهائه وفق المشيئة، ويبرز التفسير الديني اللاهوتي للتاريخ بشكل واضح عند القديس(أوغسطين) الذي ربط أحداث الأرض بإرادة السماء، ورد وقائع التاريخ إلى علة واحدة هي إرادة الله المشيئة المقدسة التي تحكم العالم وتسيِّره.

ومن هنا فليس على المؤرخ سوى تتبع الخطوات التي تنفذ بها العناية الإلهية مشيئتها في هذا العالم.

لقد دافع(أوغسطين) عن المسيحية باعتبارها المثل الأعلى للدولة وهي(مدينة الله على الأرض) ورد على القائلين بالتعاقب الدوري في التاريخ، فالحوادث لا تتكرر، فصلب المسيح في اللاهوت لا يتكرر وكذلك قيامه من بين الموتى، وعمل الله واضح في انتصار المسيحية باعتبارها أكمل مظاهر العناية الإلهية، وعموما لم تتجاوز نظرة(أوغسطين) الإيمان المسيحي، ومن الصعب أن يؤمن بها غير المسيحيين، وقد وصفها(هرنشو) بأنها ليست فلسفة ولا تاريخا وإنما مجرد لاهوت.

وهكذا اتخذ تفسير التاريخ في العصور الوسطى في نظر بعض الفلاسفة طابعا لاهوتيا، واعتبروا ذلك نوعا من الأباطيل، لأن مهمته صارت الوعظ والإرشاد فضلا عن تجاهل هذا التفسير لدور البشر في صنع أحداث التاريخ، أو جعله دورًا ثانويًا محددًا. لكن يبقى من هذه النظرية – نظرية العناية الإلهية – أنها أول محاولة تعبر عن نظرة كلية للتاريخ لتفسير معناه ومسار وقائعه.

من الملاحظ على كل حال أن هذه النزعات اللاهوتية استمرت حتى القرن الثامن عشر، عندما تجاوزتها النزعة العقلية التي بدأت على يد(ديكارت) في القرن السابع عشر، ثم(فيكو) الذي – رغم اعترافه بنظرية العناية الإلهية – اعتبر التاريخ فرعا من علم شامل للمجتمع الإنساني، يقتضي أسسًا جديدةً للبحث

العلمي خاصة في ظل ازدهار العلوم الطبيعية التجريبية على يد كل من(كبلر وجاليليو ونيوتن)، ثم جاء(فولتير) (١٦٩٤ ١٧٧٨) ليهدم فكرة العناية الإلهية وتحديدها المسار التاريخ ويقدم رؤية تحليلية نقدية جديدة[١].

المقصود بالتاريخ المقدس أو التوراتي:

التاريخ المقدس أو التوراتي، هو القصص التاريخي الذي يرد في العهد القديم (التوراة) وتاريخ العبرانيين، كما ورد في العهد القديم، والذي يختلف عن التاريخ الفعلي ويتناقض معه أحياناً، ويصلح التاريخ التوراتي مصدراً للمعلومات والفرضيات، ولكن أحياناً أخرى لا يمكن دراسته إلا باعتباره جزءاً من الرؤية الدينية اليهودية وحسب. وهذا التاريخ جزء من العقيدة اليهودية، وهو يختلف تماماً عن ممارسات أعضاء الجماعات اليهودية. وفي هذا لا يختلف أعضاء الجماعات اليهودية عن غيرهم من البشر. فتاريخ الهند والأقوام الهندية ليس تاريخ الديانة الهندوسية، وتاريخ الصين ليس تاريخ الديانة الكونفوشيوسية... وهكذا. والتاريخ التوراتي المقدس الذي ورد في العهد القديم تاريخ ذو مغزى أخلاقي تستخلص منه العبر، بل إن العبرة أحياناً تكون أهم من الأحداث نفسها. والتاريخ التوراتي يختار من الحدث ما يخدم تصوره ويلجأ إلى الصور المجازية والرموز والمبالغة ليوصل الحكمة للمتلقي، وبالتالي كثيراً ما تتناقض وقائعه ووقائع التاريخ الدنيوي، وإن كانت تتفق معه أحياناً. وكثير من القصص التي وردت في العهد القديم لا يمكن إثباتها بالرجوع للتاريخ الدنيوي. كما أن بعض المدونات الآشورية والبابلية والمصرية تعطينا أحياناً صورة مختلفة تماماً لأحداث رويت في التاريخ التوراتي. ومن أمثلة ذلك: وقائع الخروج من مصر، وحياة سليمان، وغيرهما.

(١) ما التاريخ وكيف نفسره؟ أحمد زكريا الشلق، ص١١٦، ١١٧.

والفكر الغربي والصهيوني يتجه دائماً نحو محاولة فرض الأنماط المتكررة في التاريخ المقدس على تواريخ الجماعات اليهودية في العالم وعبر التاريخ. فمثلاً حادثة مثل الإبادة النازية يتم تصويرها بوصفها تكراراً لحوادث سابقة في التاريخ التوراتي كالعبودية في مصر والتهجير البابلي وهكذا. وكأن التاريخ مسرحية إلهية حسب ما يعتقدون ذات حبكة واضحة، وبالتالي يصبح قيام إسرائيل نهاية التاريخ(١).

الرؤى اليهودية للتاريخ:

في معظم الكتابات اليهودية أو الصهيونية التي تعالج القضايا المتصلة بالجماعات اليهودية في العالم، يلاحظ الدارس أنه لا توجد أية تفرقة بين تاريخ اليهودية من جهة وتواريخ أعضاء الجماعات اليهودية من جهة أخرى، أي أن هذه الكتابات لا تفرق بين التاريخ المقدس والتاريخ الفعلي. في البداية يتداخل تاريخ العبرانيين مع التاريخ المقدس، وهو ما يعني أنهم يتحولون من قبائل من البدو عاشت في ظروف تاريخية محددة وأثرت فيها ليصبح تاريخهم تاريخاً مقدساً، وتكتمل قداسته بتدخل الإله في التاريخ دائماً لينصرهم. وفكرة تدخل إله يسرائيل الدائم في مسار التاريخ لصالح شعب إسرائيل ثم تصور حلوله في الشعب وتاريخه تحول اليهود إلى أمة من القديسين والكهنة والأنبياء.

والتدخل الإلهي المستمر في التاريخ يؤكد أن التاريخ يتم دفعه وتحريكه من الخارج وأن الإرادة البشرية لا دور لها في تحريكه معاذ الله، ويعني كذلك أن التاريخ اليهودي (المقدس والإنساني على السواء) بدأ من مطلق إلهي لا يقبل النقاش أو التقييم هو العهد مع إبراهيم وهو عهد يجدده الإله من آن لآخر كما في العهد مع إسحق ثم مع يعقوب، وينتهي بمنطلق أخير هو ظهور الماشيح

(١) موسوعة اليهود، د/ المسيري، ج٢، ص٣٦٩.

الذي يمثل نهاية التاريخ. وترد الوقائع في أسفار موسى الخمسة بمقدار ما يخدم الغرض الإلهي هدفاً واحداً هو إعلاء جماعة إسرائيل. والرؤية الدينية القومية الحلولية للتاريخ هي التي شجعت النزعات المشيحانية التي اتسمت بها تواريخ أعضاء الجماعات اليهودية. وقد أدى انتشار الجماعات اليهودية في العالم وتحولهم إلى جماعة وظيفية منعزلة إلى زيادة معاداتهم للتاريخ.

وعندما بدأ علم التاريخ بمعناه الحديث في الغرب، بدءاً من القرن السابع عشر، كان إسهام أعضاء الجماعات اليهودية فيه منعدماً. ولم تبدأ مساهماتهم فيه إلا بعد ظهور شرائح منهم تلقت ثقافة علمانية غربية مختلفة تماماً عن الثقافة اليهودية التقليدية(١).

الرؤية الصهيونية للتاريخ:

تتبع رؤية الصهاينة للتاريخ من عنصرين أساسيين أحدهما عقائدي، والآخر تاريخي. أما العقائدي فهو الحلولية اليهودية بما تحوي من مزج بين المطلق (الإلهي) والنسبي (الإنساني)، وبكل ما تخلع على الشعب اليهودي من قداسة تجعله مطلقاً. أما التاريخي، فهو التجربة التاريخية التي خاضتها الجماعات اليهودية في شرق أوربا كجماعات وظيفية. فهذه التجربة قدمت ما يمكن اعتباره برهاناً واقعياً ملموساً يؤكد صحة الرؤية الصهيونية للتاريخ اليهودي في نظرهم. وهذه التجربة أوهمت المفكرين الصهاينة بأن لليهود تاريخهم المستقل عن تاريخ المجتمعات التي عاشوا فيها. وقد نسي هؤلاء أن ما تمتع به اليهود من استقلالية في هذه التجربة التاريخية سببه طبيعة المجتمع الإقطاعي في روسيا وبولندا.

(١) موسوعة اليهود، د/ المسيري، ج٢، ص٣٦٩، ٣٧٠.

والرؤية الصهيونية للتاريخ لا تختلف عن الرؤية الحلولية الواحدية اليهودية له، والفارق الوحيد بينهما أن الرؤية الصهيونية تمت علمنتها. ومن الواضح أن هناك تداخلاً في البنى التاريخية وعدم إلمام بحركة التاريخ ينعكسان بجلاء في الطريقة التي يقرأ بها الصهاينة الواقع التاريخي. فعندما نظروا إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر رأوها أرضاً بلا شعب، ولم يروا واقعها الإنساني التاريخي الحقيقي(١).

لقد تبين أن هناك نزعات يهودية صهيونية تشكل سمات عامة تتعلق بالتاريخ اليهودي (التوراتي) وهي:

١- اعتماد مسلمات يهودية وتفسيرات صهيونية تشير إلى أن الجماعة المؤمنة، تتمثل في اليهود فقط باعتبارهم (شعب الله المختار).

٢- كل أحداث التاريخ ومساراته تتخذ طريقًا واحدًا صوب أرض الميعاد.

٣- دائمًا ما يتدخل (يهوه) في وقائع التاريخ ومجرياته من أجل اليهود.

٤- الحضور القوي للتفسيرات العنصرية، وللمسلمات اليهودية في فهم الوقائع والمواقف التاريخية وشرحها.

٥- هيمنة النزعة الصهيونية في فهم التاريخ اليهودي، واعتبار هذه النزعة أنموذجًا مرجعيًا في مقاربة الدلالات الدينية للوقائع التاريخية التوراتية.

هذه السمات، ليست سوى محصلة إضفاء المعنى اليهودي الصهيوني على تاريخ العالم القديم، وهذا في حد ذاته يشكل تهديدًا خطيرًا بالنسبة إلى علم التاريخ بشكل عام، والقديم منه بشكل خاص(٢).

---

(١)المرجع نفسه، ج٢، ص ٣٧٠.

(٢) موسوعة اليهود، د/ المسيري، ج٢، ص٣٧٠.

المطلب الثاني: مشكلة تاريخية التوراة

بطبيعة الحال، لا تخلو التوراة من إشكاليات جدلية كثيرة، فالتوراة بصورتها الحالية ما زالت تثير نقاشات وجدالات عدة في المحافل العلمية العربية منها والأوروبية على حد سواء، إذ تظهر مجمل أسفارها كثيرًا من هذه الإشكاليات، فمنها ما هو ديني، وتاريخي، وعلمي، وكأن هذه الأسفار صيغت لأغراض تبريرية دأب كتابها على إظهار جوانب محددة وطمس أخرى، وكأن هدف التوراة في مجمله ينحصر في تقديم مبررات ومسوغات لأفعال الشعب اليهودي على مسار تاريخه، وهذه مسألة ذات أهمية قصوى، نظرًا لأن هذه المسألة سينتج منها إشكاليات عدة تتعلق بالنص التوراتي وهي:

١ – زيادة الشك في إلهية التوراة:

ازداد الشك في إلهية الكتاب المقدس مرة أخرى، لما كشفت الدراسات النقدية مخالفة الأحداث الواردة فيه لما جاء في تقارير الباحثين التاريخيين والأركيولوجيين[١] عن شعوب الشرق الأوسط والشرق الأدنى، خاصة بعد الزيارات التي قاموا بها لهذه المنطقة، ومعاينة آثارها المادية المكتوبة.

وبعد الظن الطويل في كون الكتاب المقدس كتاب تاريخ نقل إلينا الكثير من المعلومات والأخبار عن الشعوب القديمة التي كانت لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بشعب إسرائيل، وعرفنا على نظم حياتها السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية، تبين اليوم بفضل هذه الدراسات التاريخية أن الأمر ليس كذلك، وأن نظم حياة هذه الشعوب بعيدة كل البعد عما يحاول الكتاب المقدس إقناعنا به[٢]، فقد ولى منذ زمن طويل الافتراض القائل إن التاريخ القديم يمكن

(١) الأركيولوجيون: الذين يدرسون البقايا المادية للحضارات القديمة؛ لفهم تاريخ الإنسان وتطوره الثقافي والاجتماعي.

(٢) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلام، ص٢٦٠.

كتابته بإعادة سبك قصص الكتاب (المقدس) وتصحيحها لقد أصبح صعباً تماماً فهم هذه القصص كونها تروي أحداثاً من ماضي مؤلفيها) [١].

فالكتب التاريخية التي اشتمل عليها الكتاب المقدس كما أثبت ذلك النقد الأدبي مجموعة وثائق، كتب أقدمها منذ نحو ألف سنة بعد العصر الذي يفترض أن إبراهيم –عليه السلام– عاش فيه وبعد عدة قرون من زمن موسى –عليه السلام– ويشوع، ومن ثم لم يكن يمكنها أن تنقل إلينا أخباراً صحيحة عن عصر الآباء وعن الخروج من مصر ولا عن غزو أرض كنعان[٢]

٢– معظم القصص التوراتي لا أساس لها من الواقع:

فالقصص الواردة في الكتاب عن الشعوب التي واجهها شعب إسرائيل، أو تلك التي مر بها في التيه في الصحراء، أو بعد دخوله الأرض المقدسة، أو بعد قيام مملكة داوود وسليمان ومملكتي إسرائيل ويهوذا، بدت قصصاً لا أساس لها من الواقع، وتسرب الشك إلى أحداث كانت في الماضي القريب أحداثاً يقينية كمملكة داوود وسليمان في القدس خلال القرن العاشر قبل الميلاد، يقول توماس طومسون: (إنه لم يكن ممكناً وجود ملكية متحدة مع شاؤول أو داوود أو سليمان في أورشليم (القدس) خلال القرن العاشر قبل الميلاد، فمع أن الطبيعة التاريخية لقصص داوود كانت موضع شك منذ السبعينيات من الباحثين الأدبيين، ومع أن عالم الساميات الإيطالي (جيوفاني غاربيني) قد كان شكك في تاريخية الملكية المتحدة في عام ١٩٨٦م فإن اكتشاف أن لا مكان لداوود وامبراطوريته في تاريخ إسرائيل بحجم ما يدعيه اليهود قد خلق فضيحة، ويؤيد هذا الرأي نفسه الباحث (كيت وايتلام)[٣] قائلاً: في السنوات الأخيرة بدأ

(١) الماضي الخرافي: التوراة والتاريخ، ص٣١، ٣٢.

(٢) اختلاق إسرائيل القديمة، ص٢٥٢.

(٣) عالم في مجال الدراسات الكتابية والآثار.

الإجماع على فكرة وجود مملكة داوود يتداعى تدريجياً، وقد بدأ التصور المهيمن للماضي بالتصدع نتيجة مجموعة من العوامل نفسها التي أدت إلى إعادة النظر في فكرة نشوء، إسرائيل)[١].

لقد تأكد الباحثون من (عدم تاريخية الكتاب المقدس) – أو بمعنى أوضح لا تاريخ حقيقي في الكتاب المقدس من نظرة هذا الكتاب إلى الماضي القديم، إذ يطفى على نظرته تلك الكثير من الخرافة، وغياب سياق تاريخي يعول عليه ما شكل عائقاً كبيراً أمام الباحثين الذين أرادوا دراسته، ومع ذلك اعتمد هذا التاريخ الخرافي زمناً طويلاً في التاريخ للعالم القديم لفلسطين خصوصاً، لعدم امتلاك، ووجود تاريخ آخر غير ما يحكيه الكتاب المقدس[٢].

٣- التحول في مسار الدراسات التاريخية التوراتية:

الدراسات التاريخية التي أنجزت عن منطقة الشرق الأدنى والهيمنة المتزايدة لعلم الآثار في كتابة تاريخ فلسطين القديم حورت مسار هذه الدراسات التاريخية، وبينت أن قراءة الكتاب المقدس للتاريخ القديم للمنطقة غدت قراءة خرافية، وأن قصة الكتاب الخاصة بالماضي المتركزة أساساً على قيام مملكة إسرائيل وسقوطها قد أفسدت نتيجة جهود بعض الباحثين الأثريين الذين تمكنوا من الخلاص من قبضة الكنيسة وسيطرة الفكر اللاهوتي المغلوط، والذي سلم منذ البدء بصحة روايات الكتاب وجعلها مسلماته التي انطلق منها[٣].

٤- الأصول الإسرائيلية من أكبر مشكلات البحث التاريخي:

يعد البحث عن الأصول الإسرائيلية من أكبر المشكلات التي اعترضت البحث التاريخي للكتاب، إذ إن أقدم نصوص الكتاب التي تناولت أصول إسرائيل

(١) المرجع نفسه.

(٢) الماضي الخرافي، توماس طومسون، ص٣٣.

(٣) الماضي الخرافي، ص٣٤.

ترجع إلى العصر الهلنستي، بمعنى أي إنها مفصولة بزمن يزيد على الألف سنة عن زمن هذه الأصول، ما يجعل أي مؤرخ يسعى إلى تحديدها في مأزق حقيقي، لأنه يبحث عن أصول إسرائيل التي يعرفها من الكتاب، وهو عاجز عن إثبات تاريخية أي رواية كتابية بفقده لأي تاريخ مستقل، يمكنه أن يقارن به رواية الكتاب وكل ما لدينا بفضل الأبحاث التاريخية عن فترة العصر الحديدي الذي يفترض أن إسرائيل ويهوذا كانتا فيه يحكي في معظمه عن البنى التي كانت تمتلكها المجتمعات القديمة سياسياً ودينياً واجتماعياً وقانونياً، بينما وفرت لنا الأبحاث الأثرية مواد كثيرة عن العهد الفارسي والهلنستي، بل مواد ضخمة من الأدب غير الكتابي أيضاً[١].

إن السؤال الذي يحير المؤرخين هو هل الأحداث الكتابية وقعت فعلاً؟ هل عرف التاريخ... فعلاً مملكة لإسرائيل؟، هل ثمة آثار مادية أو نصوص تاريخية تؤكد ما ورد في الكتاب المقدس؟

ثمة نصوص أثرية مكتوبة أشارت إلى بعض الأحداث الواردة في الكتاب المقدس وأكدت بعض الوقائع مع اختلافات طفيفة، لكنها لا تؤكد تاريخية هذه الأحداث، ولأن إثبات الحكاية الكتابية الذي يسمح لنا بقرائتها كما لو كانت تاريخاً يبقى محيراً، والسبب في أن هذه النصوص القديمة تبدو دائماً قاصرة عن إعطائنا الدليل الذي نحتاج إليه، هو أن طريقتنا في فهم الماضي لا يشاركنا فيها مؤلفو هذه النصوص أو أي نصوص قديمة[٢].

(١) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلام، ص٢٦٢.

(٢)المرجع نفسه ، ص٢٦٢.

المطلب الثالث: التراث التوراتي والنقد التاريخي: هل يمثل رؤية حقيقية للماضي؟.

من الممكن تقديم مثلين مفيدين لإيضاح كيف يمكن تحطيم الهيكل الذي يقوم عليه هذا الخطاب التوراتي، وبالتالي لإعطاء الفرصة لهذه المسائل كي تبرز إلى السطح: المثال الأول مقتبس من جدل دار في حلقة نقاش إلكترونية)). تعرف بـ .OUDAIOS[1] قامت فيها مجموعة بمناقشة فترة(الهيكل الثاني). كذلك فإن كتاب فيليب ديفيز Philip Davies (البحث عن إسرائيل القديمة) Insearch of Ancient Israelأثار جدلا واسعا حول ما إذا كان التراث التوراتي يمثل رؤية للماضي، مطابقة للواقع. وأخذ أحد المشاركين موقفا حادا من الاتجاهات التي تتخذ موقف الشك الصريح، عبر عنه بقوله: (لقد انتزع مني تاريخي). من الواضح إذن أن رؤيتنا للماضي هي شيء سياسي بالدرجة الأولى، كما أن لها تداعيات مهمة في العالم الحديث لأن هذه التمثلات الذهنية تؤكد الهوية الشخصية أو الاجتماعية أو تنكرها(تونكن1992:6 Tonkin).

إن التحديات المتزايدة للكتابات التاريخية التي تسمى وضعية (Posivistic)في القرنين التاسع عشر والعشرين، والمتعلقة بما يسمى الدراسات التوراتية (العلمية)، هذه الاعتراضات تُرفض بوصفها (تحريفية) Revisionist وقد يطلق عليها وصف ازدرائي آخر[1]. نظرًا لوجود بعض المظاهر الإشكالية في التوراة، ومنها:

ثنائية (الأسطورة) و (التاريخ):

الاختلاف بين تصورات الماضي بالنسبة للمجتمعات القديمة والحديثة يعرض عادة على شكل ثنائية (الأسطورة) و(التاريخ). ولكن هذه ثنائية زائفة

(١) اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، ص٣٦.

تساعد على تأكيد ثقة القارئ في موضوعية المؤرخ الحديث في مقابل ذاتية الأسطورة. وقد نسأل: (أين تنتهي الأسطورة ويبدأ التاريخ)؟فيما يتعلق بالتوراة العبرية، كما تمت الإشارة إليه بشكل متكرر، لا يوجد تفريق واضح بين سفر التكوين (Genesis (1 – 11 وما يليه، حتى نهاية الكتاب المقدس أو حتى نهاية جزء (الملوك٢ .2 Kings) وهكذا، يستنتج هيوز Hughesفي دراسته الحديثة حول التسلسل الزمني التوراتي أن التسلسل الزمني في سفري القضاة وصموئيل هو خيال محض اخترعه اليهود في المنفى لكي يمدونا بمشروع تاريخ عمره ١٠٠٠ سنة يغطي تاريخ وجود إسرائيل في أرض كنعان. وهكذا، لا يمكن الاعتماد على هذه الرواية لتزويدنا بتسلسل تاريخ إسرائيل.

ولا تقل (الأسطورة) عن (التاريخ) في كونها إدراكا للماضي يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الذي وجد فيه وصمم من أجل تعزيز أيديولوجية معينة. ويذهب صامويل وطومسون(Samuel and Thompson) إلى أن التراث يمكن إعادة تشكيله في سياقات متغيرة مثلما يمكن اختراعه من جديد. وقد أدت طرق التفكير الحديثة في الأساليب التي يتم بها اختراع التراث أو إعادة تشكيله (بعد معالجته) إلى هدم الافتراض الأساسي المتضمن في الدراسات التوراتية. وأعني به أن هذا التراث، على الرغم من الفاصل الزمني الكبير بينه وبين الأحداث التي يصفها، يحتفظ حتما بنوع من الجوهر التاريخي الثابت. أو الذاكرة التاريخية[١].

١- تصدع الإجماع داخل الدراسات التوراتية:

لما كانت الدولة الوطنية الحديثة تشكل الإطار الاجتماعي والسياسي الذي تدور فيه البحوث التاريخية التوراتية الحديثة، بما فيها من مناهج نقدية ومن تشققات وتحولات، لذلك ففي وسعنا أن نتوقع هجمات أشد حدة على النموذج

(١) المرجع نفسه، ص٥٧.

الذي فرضته على الماضي. ومن المرجح أن يؤدي ذلك إلى تباعد متزايد بين النص والعمل النهائي بدل التقارب الذي كان العديد من دارسي التوراة يتمنونه. وقد حدد ديفيز Davies معالم الطرق التي توضح كيف تصدع الإجماع من داخل الدراسات التوراتية في السنوات الأخيرة(١).

أصالة نصوص العهد القديم تحت مجهر النقد:

بما أن المسيحية تؤمن بالعهد القديم، بل وتؤسس عليه الكثير من عقائدها، فهو أولى أن يوثق فيه، ولهذا نجد اللاهوتي المسيحي، لا يلج الانجيل عند نقده، حتى يكمل نقده للتوراة أو لعدد القسم وهذا ترتيب تاريخي صحيح.

وبالنسبة لنتائج النقد، فالعهد القديم، لم يسلم من الطعن في أصالته، رغم أن الباحثين كانوا يعتقدون أن الصعوبة تعترض الإنجيل أكثر، بالنظر إلى نقد مصادره لكن واقع الأمر أثبت أن "أصالة أسفار التوراة أكثر تعقيدا مما كان متصوراً في البدء" مثلها مثل أصالة الأناجيل، ثم من المهم أن نعلم "بأنه كان في الأصل كثرة من النصوص وليس نصا واحدا، ولقد كانت هناك نحو القرن الثالث قبل المسيح ثلاثة أشكال لنص التوراة العبري على الأقل"، والأدهى من ذلك أن الباحثين توصلوا إلى(٢) "أن أقدم نصوص التوراة العبرية يعود إلى القرن التاسع بعد المسيح"(٣)، طبعا مع وجود ترجمات يونانية أقدم، لكن النص العبري الأصل متقدم جداً في الزمن كما نلاحظ والمقارنة بين النسخ المعروضة والنسخ التي تكشفها الحفريات، قادت إلى أحكام جديدة، كما أيدت نتائج النقد السابق سبينوزا

(١) اختلاق إسرائيل القديمة،ص٦٣.

(٢) جدل الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة للكتاب المقدس، نعيمة إدريس، ص١٩، صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص١٥، ١٦.

وفولتير سلطا نقدا تاريخياً على العهد القديم، والعمل متواصل الآن بل وطرح الأسئلة أيضا، كما أن موريس بوكاي يعيد طرح نفس تساؤل سبينوزا:

من هو مؤلف العهد القديم؟ إن أي شخص قد يطرح هذا السؤال، والذي تبدو إجابته سهلة، لأنه مذكور في مدخل التوراة بأن "الله" هو "المؤلف" مع أن الذين كتبوها هم بشر، لكن اليوم النظرية التي تنسب الأسفار إلى موسى أهملت نهائيا باتفاق الجميع، ولكن هذا لا يمنع أن ينسب العهد الجديد إلى موسى أبوته للأسفار الخمسة(١).

وفي محاولة دفاعية، الكنيسة تشير إلى استدراك كاتب مقدمة التوراة الذي نبه بأنه يحتمل وجود إضافة بعض التفاصيل عن النص الأصلي، إلا أن ذلك لا يشوه جوهر وحقيقة الكتاب. هذا ما تحتج به الهيئات الدينية الرسمية بعد مقارنة وتحقيق النصوص المتعارضة والنسخ المختلفة، دفاعاً منها عن صحة الإيمان وعن أصالة الكتاب. لكن الأمر مختلف بالنسبة للباحثين النقاد، إننا "عندمانُرجع إلى مؤلفات مكتوبة من رجال دين ليسوا مهيئين لتبسيط الفكرة إلى العامة، نرى مسألة أصالة أسفار التوراة أكثر تعقيدا"(٢)، ودون الدخول في تفاصيل دقيقة نذكر الحصيلة التي توصل إليها بوكاي (٣) والتي تتمثل في النقاط الآتية:

- الاختلاف في طول النص ولغته وقوة كتابته:

"العهد القديم هو عبارة عن مجموعة مؤلفات متفاوتة بطول النصوص وبالنوع، مكتوبة خلال فترة تتعدى تسعة قرون وبلغات مختلفة، انطلاقا من

(١) أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، موريس بوكاي، ص٢٣، ط١، ١٩٨١م، المكتبة العلمية.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٠.

(٣) جدل الدراسات النقدية، ص٢٠.

روايات شفهية، وأن عددا من هذه الأسفار قد صحح وأكمل في عصور متباعدة أحيانا عن بعضها البعض، ومن المعقول أن تتزامن الكتابات الأولى مع بداية الملكية الإسرائيلية حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وظهور الكتابة في المحيط الملكي، هذه النصوص تشكل مقطوعات مبعثرة هنا وهناك في أسفار العهد القديم(١).

- الاختلاف في مصادر التوراة:

فقد توصل المختصون إلى تحديد أربعة مصادر للتوراة وبإجماع أيضاً، بعد أن كان يعتقد بوجود مصدرين فقط.

- الاختلاف في اسم الرب:

فكتاب (ريتشارد إليوت فريدمان) المختص في اللغة العبرية، يوضح هذه المسألة بشكل جيد ففي البداية اكتشف الباحثون أنه يوجد نصان مختلفان لعدد كبير من قصص العهد القديم، قصتان مختلفتان لعملية الخلق وكذلك لتاريخ الآباء، كذلك لا يغفل أن هذه النصوص تذكر الرب باسمين مختلفين "يهوا" و"ايل"، وهنا تم التأكد من مصدرين "اليهوي" و "الإلوهيمي".

- الاختلاف في عدد من كتبوا في الأسفار الخمسة:

اكتشف الباحثون أن أسفار التوراة الخمسة لم يكتبها مؤلفان اثنان فقط بل أربعة... إن نفس الشواهد التي أدت إلى اكتشاف اليهوي والإلوهيمي، أدت إلى اكتشاف مصدر خفي داخل المصدر الألوهيمي، حيث أشارت عدة فروق إلى نوايا مختلفة تدعمها الحيلة ففي مجموعة القصص الثالثة، لوحظ اهتمام خاص بالكهنة، وكثرة القصص عنهم، وكذلك عن أحكام الكهنة وحساب الأعياد

(١) أصل الإنسان، موريس بوكاي، ص١٥.

والمعايير والأعداد، ولقد سمي هذا المصدر باسم "الكهنوتي" واختصاره "ك"[١]، والذي يعد أطول مصدر.

إلى جانب مصدر رابع يطلق عليه سفر التثنية الذي يرجع تأليفه إلى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد. وهناك من رده إلى عصر متأخر جداً هو القرن الخامس قبل الميلاد، وتغلب عليه الصفة القانونية، وهو من عمل الراهب أوره[٢].

لقد تم تحديد المصادر الأربعة في كتابة التوراة، ولكن هذه نقطة من بحر فمن الواضح أنه لا تزال توجد فجوات، مثل أسماء مؤلفي المصدر اليهوي والمصدر الإلوهيمي لكن مع هذا استمر تدوين العهد القديم ألف سنة ومئات أخرى من السنين، حتى أضاف إليه المسيحيون العهد الجديد، إذا كانت هذه السنوات الطويلة قد مرت على تدوينه، فليس من الغريب أن تمر ألف سنة أخرى على حل هذه الألغاز[٣] .

- اعتراف كبار النقاد بتباين النصوص والمؤلفين والزمن:

فالنقد بكل مستوياته أثمر كما نلاحظ نتائج حازت اتفاق أغلب الباحثين، وهذا يعطيها الكثير من المصداقية كما يعطي الباحثين الثقة لمواصلة البحث، رغم دروبه الوعرة التي تحاول كشف الحقيقة، عبر قنوات عدة لغوية، أدبية، أثرية تاريخية مكنت في النهاية من تقديم قراءة جديدة للعهد القديم[٤]، يقول البوت فريدمان:

---

(١) من كتب التوراة، ريتشارد إليون فريدمان، ترجمة: عمر زكريا، ص٤٦، دار البيان للنشر والتوزيع، القاهرة، ب.ت.

(٢) أصل الإنسان، موريس بوكاي، ص١٤٨.

(٣) من كتب التوراة، ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٤) رسال، تكوين العقل الحديث، ص٢١٦.

"لم تبق القراءة في العهد القديم، كما هي، ففي ظل المعلومات التاريخية غير العادية عن العهد القديم، نقرأ هذا الكتاب أكثر ونتعمق في بحثه، بل تستطيع أن نقرأ صفحة واحدة من العهد القديم، ونعرف ثلاثة أو أربعة مؤلفين قد كتبوها، كل من منطلق تجربته الشخصية، وفي أوقات تاريخية مختلفة[١] مدتها تتجاوز الألف عام مما يجعل البحث في بدايته.

لكن رغم هذه النتائج الموضوعية الدقيقة فيما يخص كتابة الأسفار الخمسة عدة مرات ومن مؤلفين عديدين أيضاً، إلى جانب أجزاء أخرى من العهد القديم، إلا أنه مازال من يصر أن هذه مجرد زيادات ليس إلا.

ويستخلص بعض النتائج العميقة التي تؤثر في بعض الدراسات التوراتية المستخلصة من الدراسات الأدبية الحديثة للتوراة العبرية، والعمل التاريخي التصحيحي في أوائل وأواخر الثمانينيات من القرن العشرين. وكما ذكرنا سابقا، فإن هذه التحولات ليست مقتصرة على الدراسات التوراتية وحدها ولكنها تذهب إلى أبعد من ذلك لتتضمن الدراسات التاريخية بمعناها الشامل[٢].

٤- دور العوامل الثقافية والسياسية في تحديد مسار الدراسة التوراتية التاريخية:

إنه لشيء جوهري أن نحاول الاعتراف بالعوامل الثقافية والسياسية التي حددت مسار الدراسات التوراتية، والتي تضافرت مع تمثلات قديمة للماضي لكي تمدنا (برواية أصل) master narrative تشكل بدورها (التواريخ التوراتية) المتعارف عليها، وذلك بالنسبة لتاريخ إسرائيل القديم، أما النقد التوراتي، شأنه شأن الاستشراق، فقد نشأ نتيجة لعصر الاستعمار الأوروبي وهو يرتبط به

(١) جدل الدراسات النقدية، ص٢١.

(٢) من كتب التوراة، ص٢٠٩.

ارتباطا وثيقا، وكما أشار يونغ(Young (119: 1990،فإن أهم حقيقة منذ الحرب العالمية الثانية كانت ذبول الاستعمار الأوروبي وبالتالي وضعه موضع المساءلة التاريخية[1]؛ ولهذا أصبح عصر الاستعمار الأوروبي بشكله السياسي، وباستعانته بكثير من المستشرقين وعلماء الآثار والأديان بشكل ثقافي أحد أهم العوامل الثقافية والسياسية في تحديد مسار الدراسة التوراتية التاريخية.

٥- إشكالية النص التوراتي ومعضلة فصل الدراسة التاريخية للمنطقة عن الدراسات التوراتية:

هذه الدراسات ذاتها تنطوي أيضا على خلط واضطراب متأصل فيها.فبينما تركز هذه الأعمال النقدية على التحديد الزمني لإسرائيل القديمة، سواء أكان ذلك في بداية العصر الحديدي أو آخره، أو على الفترة الفارسية أو الهلنستية، فإن المحاولات التمهيدية لترويج فكرة الحاجة الماسة إلى فصل الدراسة التاريخية للمنطقة عن الدراسات التوراتية لم تُحل معضلتها بعد، وهذا الإرباك يسهم في إسكات التاريخ الفلسطيني.

لذلك فإن تلك الأعمال النقدية ذاتها متورطة في البحث (الجديد) عن إسرائيل القديمة، بعد فشل هذا البحث الجديد تصبح الحاجة ماسة بدرجة أكبر إلى دراسة تاريخ المنطقة وإعادة صياغة هذه الأعمال وإعادة النظر فيها مع مراعاة تجديد البحث بلا هيمنة توراتية.

فقد تركز الجدل على ثلاث فترات مهمة مرتبطة ببعضها البعض: تاريخ التراث التوراتي وعلاقته بالبناء التاريخي، ومغزى لوح مرنبتاح الحجري المنقوش (Mermeptah stele)،وتفسير المعلومات والدلائل الأثرية الحديثة في عملية البحث عن إسرائيل أو تحقيق التاريخ الفلسطيني.هناك إدراك واسع الانتشار بأن

(١) اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ص٦٣.

من المسلمات الرئيسية المتفق عليها في البحث (الجديد) عن إسرائيل القديمة. وهذا جزء من الأفق الجديد (New horizon) لـ كوتCoote. رفض التراث التوراتي لإعادة البناء التاريخي لفترة العصر البرونزي المتأخر وبداية العصر الحديدي. فهناك علاقة واضحة ولكن ليس هناك أي إجماع مطلقا على فهم وتأريخ الآثار التوراتية موضع البحث. ونظرة الستروم Ahlstrom التي تفيد أن النص التوراتي هو نتاج الإيمان ولم يكن الهدف منه سرد الحقائق التاريخية أو حفظها، متفق عليها بالإجماع، لكن ليس هناك إجماع مماثل فيما يتعلق بتفسيراته الأيديولوجية لمسألة الخروج .(Exodus) إضافة إلى ذلك، وبينما يدعي آلستروم أ ن سفر القضاة ليس له إلا قيمة قليلة للمؤرخ في تصوره للماضي، فإن مفهومه للمملكة، وتصوره للفترة الانتقالية من العصر البرونزي المتأخر إلى بداية العصر الحديدي، مقيدة تماما بالتراث التوراتي.

يبدو آلستروم Ahlstrom في منهجه قادرا على التقاط المعلومات التاريخية الموثوقة وذات الصلة.(١).

وانطلاقًا مما سبق، يمكن القول أن هذه الإشكاليات كان لها تداعيات يمكن إجمالها على النحو التالي:

١- لم يتم الفصل بين ما هو ديني وما هو تاريخ عند اليهود على مدار عصورهم.

٢- بروز الرؤية اللاهوتية في أحداث التاريخ في كل مراحله ومساراته.

٣- كثير من القصص التوراتي الوارد في العهد القديم يختلف عن التاريخ الفعلي ويتناقض معه أحيانًا.

(١) اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ص٢٧٩.

٤- التداخل الواضح بين تاريخ اليهود كجماعة وبين التاريخ المقدس لليهودية كديانة.

٥- تنطلق الرؤية الصهيونية للتاريخ من مصدرين اثنين هما: العقيدة والتاريخ، ولكن ليس التاريخ بمفهومه العام بل التاريخ بمفهومه الصهيوني العنصري.

٦- معظم الدراسات التاريخية التي تم إنجازها عن المنطقة جاءت بشكل منحاز للرؤية الصهيونية وخاصة فيما يتعلق بتاريخ فلسطين القديم.

٧- نتيجة للاكتشافات العلمية الحديثة ظهر تصدع واضح للإجماع داخل الدراسات التوراتية نفسها.

المبحث الثالث

الطابع التاريخي للتوراة: (نماذج تطبيقية مختارة)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الحدث التاريخي وضياع المظهر العلمي للبنى اللاهوتية للتوراة.

المطلب الثاني: هجر السمات والقواعد الثابتة للدراسات التوراتية.

اعتمد المبحث السابق، ومن زاوية نظرية بحتة، على فكرة نقد الطابع التاريخي للتوراة، وظهرت هذه الفكرة كتحليل عام للنطاق التاريخي للتوراة، أما هذه الفكرة الأساسية فيمكن تقديمها بشكل صريح وواضح ضمن إطار من الأمثلة والنماذج التطبيقية المختارة، في هذا المبحث، وذلك للجمع بين كلتا الزاويتين (النظرية والتطبيقية) في آن معا.

والحال، أن ثمة نماذج عديدة بين قصص التوراة ونصوصها، ولكن لا يمكن طرحها جميعًا في هذا البحث نظرًا لطبيعته وحجمه، وبالتالي يصبح من الملائم طرح بعض هذه النماذج والتي تعطي توضيحًا مناسبًا لنقد الطابع التاريخي للتوراة، ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط الآتية:

المطلب الأول: الحدث التاريخي وضياع المظهر العلمي للبنى اللاهوتية للتوراة: الدعوة إلى الاهتمام بالنصوص الكتابية الخاصة بالمسائل التاريخية

(كان أوشر Ussher رئيس أساقفة أرماج،Armagh، أحد معاصري الشاعر ميلتون والأكبر منه سنا، قد زود النسخة الرسمية للكتاب المقدس المخطوطة التي لا تزال موجودة في بريطانيا، بتواريخ يمكن أن ترى على هوامش النصوص. وذلك لأن الكتاب المقدس كان – ولو لمدة قصيرة – معتبرًا مصدرًا للمعلومات التاريخية، موثوقًا فيه ومتفوقًا على ما كل عداه من مصادر التاريخ، في كل أنواع الحقائق، ومجازا من قبل كل من كنيسة روما الكاثوليكية وكنائس الاصلاح البروتستانتية. لكن الكتاب المقدس ظل كذلك يعتبر أسطوريا، وذلك عندما كانت تصعب المصالحة بين اختلاف تفاصيل الأحداث نفسها في أجزائه المختلفة ففي سفر صموئيل الأول، وفي أسفار البشارة في الأناجيل الأربعة، كان من الطبيعي أن تحدث اختلافات لا يمكن تجنبها، مثل تنوع الوجوه والمباني والألوان في تصوير المناظر.

هذا الوضع ما كان له أن يدوم طويلًا، إذ وقعت الكتب المقدسة في يد نقاد التاريخ، وكان تطور علوم نقد التاريخ هو النتيجة الحتمية، التي أدى إليها

ذلك الاحساس بالانتشاء المزيف والفخر بالكتابات المقدسة، والاعتقاد الجازم بأنها الى جانب كونها كتابات مقدسة، فهي كذلك كتابات واقعية وتاريخية والأدهى هو أن الاهتمام بالتاريخ كان على حساب الاهتمام بالجوانب الأخلاقية والصوفية لنفس الكتابات. حدث هذا في الغرب، أما في الشرق، فلم يحدث شيء شبيه ولذلك تأخر الصدام[١].)

لم يحدث نقد لتاريخ الكتاب المقدس، أو نقد للكتاب المقدس كمصدر للمعلومات التاريخية، في الكنائس الشرقية الا بداية من القرن الثامن عشر. كان اللاهوت الصوفي في أديرة جبل آتوس باليونان، خلال القرن الثامن عشر، وهي الأديرة التي تقع في شرق أوروبا، أكثر حيوية ونشاطا من كل الأديرة الأخرى الواقعة في غرب أوروبا، وذلك لأن أديرة أتوس، كانت المكان الذي تم فيه تجميع وتراكم أهم مجموعات علم اللاهوت الديريmonastic theology ، أي علم اللاهوت الخاص بالأديرة. وقد أدى انتشار أساليب المدارس الغربية السكولاستية[٢] المدرسية، الى جلب أسئلة سكولاستية مدرسية إلى أديرة شرق أوروبا. كان يمكن مقاومة هذا الاتجاه، بظهور الدعوات التي نادت بالرجوع إلى التقليد القديم، الخاص بالتفسيرات الصوفية[٣].

وكان تهديد مبادئ العقيدة وأساساتها، أكثر قوة ومباشرة في العالم المسيحي البروتستانتي، وذلك لأن السيطرة على تلك الكنائس البروتستانتية الإصلاحية، كانت أصعب بكثير من السيطرة على الكنائس الخاضعة لسلطة الكنيسة الكاثوليكية في روما. خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت الدعوة

(١) أسطورة المسيحية، ص٢٥.

(٢) حركة ظهرت في العصور الوسطى للدفاع عن اللاهوت المسيحي القائم على الفلسفة اليونانية.

(٣) أسطورة المسيحية، ص٢٦.

البروتستانتية قد بدأت في الاهتمام بالنصوص الكتابية الخاصة بالمسائل التاريخية، أكثر من الاهتمام بغيرها من النصوص، عندها بدأ الناقد التاريخي في ازاحة الناقد السكولاستي الذي كان حتى ذلك الوقت الوسيط في المسائل العقائدية. وقد حدث هذا ليس فقط بين رجال الكنيسة البروتستانتية، ولكن أيضا بين رجال الكنيسة الكاثوليكية في روما، التي تأثرت وسائلها الدفاعية، بالنظرة الجديدة الناتجة عن الصراع الجدلي البروتستانتي[١].

المطلب الثاني: هجر المُسَلَّمات والقواعد الثابتة للدراسات التوراتية وإعادة النظر في الروايات التوراتية

الآن أصبح الجميع يعترفون بمسألة وجود أساطير في الكتاب المقدس. ومن المحتمل أن كل اتباع كنيسة روما الكاثوليكية، بالإضافة الى أغلبية أتباع الكنيسة البروتستانتية، سيقبلون الفكرة التي تقول بأن طريقة عرض موضوع الخلق في الاصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين هي في قالب أسطوري[٢].

فقد أخذت التوراة عن حضارات الشرق الأدنى القديم بعض التفسيرات الأسطورية حول قضية خلق العالم والإنسان، فقد كان الشرق الأدنى من أكثر المناطق خصباً في عطائها وإبداعها الأسطوري. تألقت الروحانية فيها واندمجت مع رؤى وأحلام، فأعطت ملاحم في فضاء الغيبيات. وحاولت أن تضع التفسيرات للمجهول بقالب شيق و مبدع، ومن هذه الأساطير:

(١) أسطورة المسيحية ، ص٢٦.

(٢) نفسه، ص٢٦.

الأسطورة البابلية (إينوما إليش):

دُونت تلك الأسطورة بين ١٢٠٠ إلى ١٨٠٠ ق.م، ويعود أقدم لوح أثري لها لعام ٧٠٠ قبل الميلاد، وتدور الأسطورة حول تعظيم الإله مردوخ الذي بدأت عبادته في بابل عام ٣٠٠٠ ق.م.

تبدأ الأسطورة بعبارة: عندما في الأعالي، لم يكن هناك سماء، وفي الأسفل، لم يكن هناك أرض، ولم يكن هناك سوى المياه، وتلك المياه تنقسم إلى محيطين: محيط المياه العذبة المتمثلة في الإله (أبسو) ومحيط المياه المالحة المتمثلة في الآلهة (تعامة) التي يعني اسمها الغمر أو الأعماق، وتبدأ نشأة الكون من اتحاد (أبسو) مع (تعامة) بالزواج، وينجبان الآلهة الطيبة والشريرة، وينزعج الزوجان من ضجيج الآلهة الصغيرة، فيقترح الزوج على زوجته أن يقتلا أبنائهما حتى يستريحا. وتوافق (تعامة) ، لكن تتدخل الآلهة (إيا) وتفشل ذلك المخطط، وتقتل (أبسو). تقرر (تعامة) الانتقام لزوجها وقتل جميع الآلهة، فتذهب الآلهة الصغيرة إلى الإله (مردوخ) إله الريح طلبا للمساعدة، وهنا يقرر (مردوخ) التدخل للسيطرة على ثورة (تعامة) التي تصورها الأسطورة كمياه ثائرة تعيث في الكون تخريبًا، ويشترط عليهم أن ينصبوه سيدا للكون في المقابل، وتوافق الآلهة. يطلق (مردوخ) ريحا عاصفة فوق (تعامة) ، ويستطيع السيطرة على جنونها ثم ينهي حياتها. ويبدأ (مردوخ) في بناء الكون من جديد، ممسكًا بجسد (تعامة) المائي وفاصلا المياه إلى نصفين، نصف للسماء ونصف للأرض[١].

(١)أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، الأب سهيل قاشا، ص٢٦٦ ، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، كارم محمود عزيز، مكتبة النافذة– القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص٥٥.

وهذه الأسطورة البابلية تتطابق مع بداية سفر التكوين: " فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ .وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ."[1]

الأسطورة السومرية: (ملحمة جلجامش):

هي ملحمة قديمة كتبت في بلاد الرافدين عن الملك السومري (جلجامش) من (أوروك) الذي ربما حكم في وقت ما خلال الجزء الأول من حِقْبَة الآسرات المبكرة (٢٩٠٠ – ٢٣٥٠ قبل الميلاد). تم تأليف الملحمة بين عامي ٢٠٠٠ و١٨٠٠ قبل الميلاد، قبل كتابة التكوين بقرون، وتتفق هذه القصة وبداية سفر التكوين، وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»[2]، وتصف القصة (جلجامش) كملك شرير مستبد، ولديه هوس بالجنس، ويعتدي على نساء مملكته، يصرخ البشر إلى الآلهة طالبين النجاة من قبضة الملك الظالم. ثم تستجيب الإلهة (أرورو) وتقرر التصدي لجلجامش فتخلق إنسانًا من الطين يدعى (إنكيدو)، وهو يشبه سيدنا آدم– عليه السلام– في صفات كثيرة: فهو مخلوق من الطين، يتسم بالبراءة والقوة، يعيش حياة حرة ويرتدي أمساحا من جلود الحيوان، شبه عار لكن بلا خجل، ويأكل من خيرات الأرض بلا تعب، في وئام تام مع الطبيعة والوحوش التي يلعب معها ولا تؤذيه. لذلك، تقرر الإلهة (أرورو) أن (إنكيدو) ينبغي له أن ينضج وينسلخ من طبيعته الطفولية لأنه لن يهزم (جلجامش) وهو في تلك الحالة البدائية. ترسل له بائعة هوى تدعى (شمحات) كي يمارس معها العلاقة الجنسية ومن خلالها تنفتح عيناه

(١) تكوين ١: ١–٢.

(٢) تكوين ٣: ٢٢.

على العالم. وبالفعل، يعيش (إنكيدو) معها ستة أيام وسبع ليال ثم يخرج من حالة البراءة السابقة، ويصبح مثل الآلهة. ومن بعد ممارسة العلاقة، يفقد وحدته مع الطبيعة ويصير ضعيفًا أمامها، تقتسم المرأة ثيابها وتغطي جسده العاري، لأول مرة بملابس، وحين يلتقي بأصدقائه الحيوانات والوحوش يفروا من وجهه خائفين لأنه يملك الحكمة الآن ولا يعد واحدًا منهم! لبث انكيدو يتصل بالبغي ستة أيام وسبع ليال وبعد إن شبع من مفاتنها وجه وجهه إلى ألفه من حيوان الصحراء فما أن رأت الظباء انكيدو حتى ولت عنه هاربة وهربت من قربه وحوش الصحراء ذعر انكيدو ووهنت قواه خذلته ركبتاه لما أراد اللحاق بحيواناته أضحى انكيدو خائر القوى لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل ولكنه صار فطنا واسع الحس والفهم رجع وقعد عند قدمي البغي وصار يطيل النظر إلى وجهها ولما كلمته أصاخ بأذنيه إليها كلمت البغي انكيدو وقالت له: صرت تحوز على الحكمة يا انكيدو وأصبحت مثل إله فعلام تجول في الصحراء مع الحيوان؟[١]

فهذا العمل إذن، يمثل ذروة الأعمال التاريخية التي هيمنت على الدراسات التوراتية خلال القرن الحالي. (هيز Hayes) على الرغم من ذلك، وعند النظر إلى ما مضى، فإن هذه الدراسة تدلل بوضوح على المشاكل المتزايدة المتعلقة بتاريخ إسرائيل القديم باعتباره تاريخ الفجوات، ذلك التاريخ الذي يجد نفسه مضطرا باستمرار لهجر (مسلماته) والقواعد الثابتة التي انطلق منها، لقد تساءل (لونغ Long)أثناء مراجعته لدراسة ميلر وهيز بأقصى ما يمكن من الجدية: (هل ينبغي للمرء حتى أن يحاول كتابة تاريخ نقدي حديث لإسرائيل مبني على

(١) أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ، ص٥٠.

أساس صيغة موحدة لذلك التاريخ تمتزج فيها عناصر كثيرة، ولها أهداف ثقافية تخدم البلد المعني نفسه، وهي في الأساس رواية تتسم بخصوصية شديدة؟).

إن إعادة النظر في الروايات التوراتية، التي استمرت بحيوية وثقة متزايدة بالنفس، قد ظلت تسهم في تحطيم هذا الإجماع.

إن إحدى النتائج الأساسية للبحث التاريخي كانت إيذانه بموت (التاريخ التوراتي)، الذي يتم استبداله بشكل تدريجي بالاعتراف بالتاريخ الفلسطيني كموضوع قائم بذاته.

وهو فهم لتاريخ المنطقة يزداد ابتعادا وانفصالا عن الدراسات التوراتية: كما أنه مفهوم موضوعي لتاريخ ذو قاعدة عريضة، يهتم بالاقتصاد والسكان (الديموغرافيا) والاستيطان والأديان والأيديولوجيات الخاصة بفلسطين بشكل عام. إن تاريخا للمنطقة يهتم بتواريخ البيئات الصغيرة (micro environments) وتحتل فيه إسرائيل ويهودا مكانة مهمة، دون أن تكون قطعا العامل المهيمن وحده على التاريخ، هو ما ينبغي أن يكونه مثل هذا التاريخ. وإذا كانت الأعمال التي عالجت موضوع تاريخ إسرائيل القديم من منتصف الثمانينيات حتى نهايتها، وبخاصة أعمال ليمحى(1985) Lemche، والستروم Ahlstrom (1986) وكوت ووايتلام Cooteand Whitelam (1987) وفنكلشتاين(1988) Finkelstein ،قد علمتنا شيئا، فإنما هو أن جميع افتراضاتها لم تكن جذرية بما فيه الكفاية. فمعظم هذه الدراسات مضللة لأنها لا تظهر شيئا عما يسمى بنشوء إسرائيل، إذ إننا غير قادرين على إطلاق الأوصاف العرقية على الثقافة المادية لهذه المنطقة في تلك الحقبة الزمنية،

ولكننا مهتمون أساسا بالاستيطان وبتحول المجتمع الفلسطيني بشكل عام: فهؤلاء الباحثون أيضا ضللوا في خضم بحثهم عن[١]

بصورة عامة، يمكن القول أن هناك شواهد كثيرة ووقائع عدة يمكن دراستها وبحثها في سياق نقد الطابع التاريخي للتوراة، نظرًا لأن التوراة حافلة ومليئة بمثل هذه الشواهد والوقائع، مع كل هذا، وفي هذا البحث لا يمكن دراسة كل هذه الشواهد والوقائع نظرًا لحجم البحث ومساحته، ولهذا فيمكن الاكتفاء ببعض الأمثلة التي توضح فكرة البحث وصلب الدراسة. في السياق ذاته سيخضع اختبار الشواهد إلى اعتبار هام وهو أن تغطي جانبًا هامًا سواء كان عقديًا أو اجتماعيًا إلى غير ذلك بحيث تتنوع الشواهد، ولكن في نفس الوقت تتكامل وتتلاقى حول مسألة واحدة وهي (نقد الطابع التاريخي للتوراة).

بناء على ما يسبق فيأتي في مقدمة الشواهد والأمثلة، ما يخص الجانب العقدي، وهو كما يلي:

يهوه ليس إلهًاخاصًا باليهود وحدهم-كما يدعون-:

ثمة نصوص في التوراة تشير إلى وجود إله باسم (يهوه) في أرض الشاسو، مما يوحي، عرضاً، بتواصل ما مع مناطق جنوب كنعان، حيث يرد ذكر الإله يهوه هذا في بعض النصوص التي تعود لأوائل القرن الثامن ق.م التي عثر عليها في كونتيلة عجرود ويعرف باسم يهوه تيمان، أي يهوه الجنوبي أو الجنوب، كما أن العديد من الملوك الكتابيين "سواء من المملكة الشمالية أو الجنوبية" حملوا أسماء ترتبط بالإله يهوه ابتداء من القرن التاسع ق.م. ويرد ذكر يهوه في نصوص مصرية تعود للقرن الثالث عشر ق.م.

(١)اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ص٦٥.

وهذا يعني- بحسب فنكلشتين- أنه كان ضمن مجمع آلهة، ولم يصبح الإله الوحيد الحقيقي إلا بعد العام ٥٨٦ ق.م"تاريخ سقوط أورشليم" لاعتبارات أخرى غير دينية قطعاً.

لكن السؤال ليس حول تواجد جماعة أو قبائل"عابيرو أو شاسو" التي أطلق قسم منهم على نفسه اسم"إسرائيل"، إنما السؤال يأخذ منحى أو مظهر إقليمي أوسع، بمعنى حقيقة وجود كيان سياسي يسمي نفسه إسرائيل ويرى سكان هذا الكيان أنفسهم على أنهم إسرائيليين وأن إلههم هو يهوه، كما هو مدون في قصص التاريخ التثنوي[1].

التصور للإله وقوانينه:

اعتبر (ألت)، أن أهم مفتاح لفهم أصول إسرائيل هو تمايزها وعدم توافقها مع المجتمع الكنعاني السابق لها حسب ما فهمه هو. وميز عبر سلسلة من دراسات النقد البنيوي بين المظاهر الكنعانية والمظاهر الإسرائيلية في نصوص التوراة، على أساس قربها أو بعدها عما ورد في اللوحات المسمارية. وكان ألت قادراً على القول بأن أصول معظم مظاهر المجتمع الإسرائيلي (وأهمها تصوره للإله وقوانينه) انعكست بشكل متميز في المظاهر الإسرائيلية للروايات مثل (إله الآباء) والأحكام القانونية الجازمة في العهد القديم كتلك المتمثلة في الوصايا العشر. كما أن التقاليد المشتركة بين إسرائيل وباقي الشرق الأدنى مثل (عبادة إيل وقوانين الزراعة) اعتبرها ألت كنعانية الأصل. وبصورة مفهومة، رغم أنها غير مشروعة، أعطى ألت بعداً تاريخياً لهذا التناقض والتعارض، وصنف ما اعتبره متميزاً على أنه إسرائيلي الأصل، وما اعتبره كنعانياً ضمن المظاهر

(١) علم الآثار التوراتي في إسرائيل، محمود الصباغ، مقال شبكة الانترنت، صفحة الحوار المتمدن، ٢٠٢٢/٤/٢٧.

الاجتماعية التي تبنتها إسرائيل لاحقاً، أي بعد الاستقرار في فلسطين. هذان النوعان المختلفان من العناصر قد اندمجا برأي ألت، في سياق اندماج إسرائيل في العالم الكنعاني في عهد الملكية. واعتقد ألت[١]أيضاً، أن بالإمكان إعادة كتابة معظم ما يعود إلى تاريخ إسرائيل القديم بتدقيق السمات الإسرائيلية في الروايات المنقولة بعناية. وبناء عليه تحدث عن الالتزام بأن (إله الآباء) قبل عهد الملكية (وتمركز عبادة يهوه على القوانين الجازمة الواردة في الأسفار الخمسة الأولى) إسرائيلي الأصل، بخلاف الوحدانية المركزية الأكثر تناسقاً التي سادت في عهد الملكية. بالنسبة لألت كانت هناك ديانة إسرائيلية سائدة في العصر السابق للملكية . عصر القضاة . وموحدة للقبائل. وهذا الارتباط هو الذي جعلهم (إسرائيل) خلال فترة الاستيطان، على شكل مجموعة أو فيدرالية قبائل دينية. هذا التركيز المتسم باعتماد الشكل، قاد ألت، لا إلى اعتبار تحول القبائل الإسرائيلية إلى الكنعانية في ظل الملكية الموحدة تزييفاً لليهوية الأصلية النقية التي سادت قبل عهد الملوك بشكل يذكر بصموئيل، فحسب بل وإلى بناء تحليله على مثل هذه الثنائيات والمتناقضات التي شوهت بالضرورة تصوراته، لأنها وضعت على أساس افتراض تناقض حاد بين الكنعانية والإسرائيلية.

هذه الملاحظة يجب أن تؤدي إلى مزيد من التدقيق حول التناقض الكنعاني– الإسرائيلي الذي يقول به ألت. ما مدى أهمية الفروق التي تلاحظ في التعارض الأدبي بين الكنعانيين والإسرائيلين[٢].

(١)اختلاق إسرائيل، ص٢٧.

(٢)اختلاق إسرائيل، ص٢٨.

الاكتشافات الأثرية توحي بعدم صحة روايات التوراة وتاريخها:

فهذه النصوص الأثرية تقدم لنا روايات لما أعاد المؤلفون تقديمه كونه ماضياً من دون ان يهتموا بتمييز القصص الممتعة أو الفكاهية أو المسلية من القصص التي تروي شيئاً حدث فعلاً في الماضي، ذلك بأنهم لم يترددوا في تغيير مصادرهم وإعادة بناء الماضي، عندما تكون معلوماتهم ناقصة عن بعض الأحداث بأي أسلوب يرونه ملائماً لجبر هذا النقص، فهذه النصوص الأثرية من ناحية القيمة التاريخية ليست بأفضل من نصوص الكتاب المقدس، إذ المطلوب لإثبات روايات الكتاب المقدس أو نفيها وجود نصوص مستقلة عن الكتاب قريبة من زمن وقوعها، حتى تكون شاهدة على ما حدث فعلاً.

شواهد التشكيك في روايات الكتاب المقدس:

إن ما جعل الباحثين في السنين الأخيرة يشككون في الروايات والأحداث الواردة في الكتاب المقدس بعض الأمور المتعلقة بطبيعة الكتاب نفسه، فالتكرار البين للقصص التي يرويها عن شخصيات مختلفة زمانياً ومكانياً، أثارت أكثر من علامة استفهام عن مدى صدقه، فقد عاش إبراهيم وإسحاق الأحداث نفسها، وكانت لهما المواقف نفسها. فكلاهما أصيبت أرضه بجوع، ولجأ إلى جرار، وقال عن زوجته إنها اخته، وقصة عبور نهر الأردن نفسها حدثت مع موسى ومع يشوع تصادف الأمر نفسه مع يسوع في الأناجيل. إذ نجده يعيش قصة داوود بحذافيرها، ففي سفر صمويل الثاني يتخلى عن داوود الذي يطارده جيش ابنه أبشالوم وجميع أصدقائه، ويفقد الأمل في الكل، فلا يجد لنفسه ملجأ سوى الجبل الذي يجد فيه مكاناً للتضرع والتوسل لله الذي يستجيب لدعواته، ويهلك ابنه أبشالوم، ويعيد مسيحه داوود إلى أورشليم ممتطياً حماره، ويجعله ملكاً عليها من جديد، ويكرر يسوع الحدث نفسه فيعود نفسه، كما يصور لنا ذلك أصحاب الأناجيل. إلى أورشليم ممتطياً هو أيضاً حماره في الليلة التي تسبق موته وبعدما تخلى عنه أتباعه، فلم يجد ملاذاً له سوى بستان جثسيماني على جبل الزيتون

الذي تضرع فيه لربه داعياً إياه، فكلاهما داوود ويسوع يصلي، حيث لا أحد يريد أن يصلي، فهل التاريخ يعيد نفسه كما يقال؟[١].

إن ما يثير الانتباه في قصص الكتاب المقدس تلك التقابلية التي تطغى على كل أحداثه وشخصياته فإبراهيم يقابله لوط، وإسحاق يقابله إسماعيل، ويعقوب يقابل عيسو حيث تكون الغلبة والتفوق للجانب الأول دائماً، حتى إن بدا أنها ستكون للثاني، كما هو الحال لدى إسماعيل وعيسو، فمع أنهما بكرا أبويهما لم يحظيا بشيء، ليست هذه القصص التقابلية عن إسرائيل القديمة قصصاً تعكس النزاعات الإقليمية والقبلية في الماضي، وإنما هي شروح للنزاع الأبدي بين الخير والشر، وبين الرب يهوه وغرور شعب إسرائيل[٢].

واستمرارًا لتخبط الروايات الكتابية ومدى بعدها عن الحقيقة التاريخية يمكن عرض قصة توصل إسرائيل إلى امتلاك أورشليم من خلال التوراة، ففي الإصحاح العاشر من سفر يشوع هزم يشوع ملك إسرائيل أدون بصدق وجنده في معركة متواصلة وقتل يهوه من الأعداد أكثر مما فعل يشوع بإلقاء الحجارة الضخمة عليهم من السماء، وجرى أسر الملوك المختبئين في كهف وأعدمهم يشوع، يحكي لنا المؤلف تصديقاً لهذه القصة أن خمسة من هذه الأحجار موضوعة عند مدخل الكهف إلى هذا اليوم. وهنا يوقع المؤلف مستمعيه في الفخ بالنصب التذكاري المقام عند الكهف، فأحجار يهوه الخمسة هي حجة بينة لمصلحة تاريخية القصة، هذه الحجة هي فكرة شائعة في الحكاية الشعبية، وتسليماً بأن حجارة يهوه هي حيات برد، يهدم المؤلف عمداً دليله الأثري على التوثيق التاريخي للحكاية، ومن ناحية أخرى فإن سفر القضاة الأول يحدد الإطار

(١) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلام، ص٢٦٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٦٤.

الزمني لحكايته عن فتح أورشليم بزمن بعد موت يشوع فأورشليم ليست أمورية في هذه القصة. بل كنعانية، والأكثر مدعاة للدهشة، أن ابني يعقوب المؤسسين وأبوي القبيلتين نفسيهما. بهوذا وشمعون اللذين يهزمان الكنعانيين في أورشليم يقتلان ويحرقان المدينة عن بكرة أبيها، وفقاً لذلك في سفر صمويل الأول (٥٤ :١٧) فإن أورشليم هي قبل ذلك جزء من إسرائيل، يجلب داوود الشاب رأس جليات إليها دليلاً على النصر، ومع ذلك تقدم لنا قصة ثالثة عن فتح أورشليم ترد بأسلوبين مختلفين، أحدهما في سفر صمويل الثاني (٦: ١٠-٥) آخر في سفر الأخبار الأول (٤: ١١-٩) كلاهما يقدم أسباباً (إيتولوجيات) لأورشليم كونها (مدينة داوود) و (قلعة صهيون)، يجري إحكام السيطرة على أورشليم في هذه الحكاية في أثناء فترة حكم داوود ملكاً في حبرون (الخليل)، فأورشليم ليست أمورية ولا كنعانية، إنها مدينة يبوسية، كما في قصة سفر القضاة (١٠: ١٩-١٢)، وهذه القصة التي هي من أشهر قصص فتح أورشليم أصبحت جزءاً أساسياً من رؤية آثاريات الكتاب الماضي، فمن الصعب ألا يثير الدهشة تقديم ثلاثة أسفار مختلفة من الكتاب ثلاث قصص مختلفة على الأقل عن كيفية توصل إسرائيل إلى امتلاك أورشليم[1]. وبهذا فقد كشفت مظاهر تخبط الروايات الكتابية وبعدها عن الحقيقة التاريخية.

إن ما عوق تقدم البحث التاريخي في منطقة الشرق الأوسط والشرق الأدنى ذلك الظن السائد أن الكتاب المقدس هو أقدم مرجع تاريخي، ينير لنا طريق البحث، فظن الباحثون الأثريون أن ما ورد في هذا الكتاب هو تاريخ للمنطقة جعلهم يبحثون ويبذلون قصارى جهدهم من أجل تأكيد رواياته وقصصه، فعملوا على أن يجدوا بين الأواني الفخارية الأثرية آثاراً تدل على الأمم التي

(١) الماضي الخرافي التوراة والتاريخ، توماس طومسون، ص١٠٢، ١٠٣.

تحدث عنها الكتاب المقدس، لكنهم يبحثون عن عالم لا ينتمي إلى حقل آثارهم مع الأسف، إذ لم يتمكنوا من العثور عليه في أي موقع أثري من مواقعهم(١). فكانوا أشبه بمن يحرث في البحر.

ومع يقين كثير من الباحثين الأثريين وعلمهم بهذه الحقيقة إلا أننا نجدهم عند أي اكتشاف أثري يندفعون من دون التأكد من صحة انتساب الاكتشاف الأثري إلى القول بصحة روايات الكتاب المقدس وتاريخيتها مصرين وفق تعبير كيت وايتلام على اختلاق تاريخ الإسرائيل القديمة، وقد بين كيت وايتلام أن الفرضيات الثلاث الأساسية عن نشوء إسرائيل عدت كلها على نحو متفاوت أن أصول إسرائيل الواردة في الكتاب هي أصول تاريخية(٢).

ومثال لهذا الاندفاع ما حدث في صيف عام ١٩٩٣م، حيث جرى العثور على كسرة من رقيم عليه نقش في موقع تل دان تل القاضي في فلسطين الشمالية، أشار النص إلى (ملك إسرائيل)، وكان أيضاً يحمل الأحرف (ك بيتدود)، وسرعان ما قرئت هذه الأحرف (ملك بيت داوود). وقد فسرت (ملك من سلالة داوود)، وقد حدد تاريخ النقش بأوائل القرن التاسع قبل الميلاد، كان يظن أنه يروي قصة معركة وصفت في سفر الملوك الأول (١٦ : ١٥– ٢٠). وهو حدث يعود تاريخه إلى عام (٨٨٣ ق. م). هذا النقش الجديد زعم أن الدليل القاطع على أن داوود الملك كان موجوداً ذات مرة، وكان المؤسس للسلالة الحاكمة ليهوذا في أورشليم، وقد احتفلت المجلات العلمية، إضافة إلى الصحف والمجلات الشعبية بهذا الاكتشاف بحماسة كبيرة، لكن قراءة الحرف (ك) كانه الحرف الأخير من كلمة (ملك) إنما كانت تخميناً طبعاً، ولا شيء في النقش ذاته

(١) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص٢٦٥.

(٢) اختلاق إسرائيل، ص١٢٦ – ١٩٧.

يقضي بأن تربط كلمة أو اسم (بيتدود مباشرة بأورشليم أو يهوذا، فقد كان ممكناً أن تشير إلى مكان أقرب كثيراً إلى تل دان، كما يمكن ترجمة الاسم (بيت) بمعنى (بيت، ويعكس اسم المحمية التي تحكم البلدة، وعندما يضم إلى اسم إله تكون ترجمته (معبد / هيكل) مثل بيت إيل (معبد إيل)، أما (دود) فهو اسم الملك داوود في الكتابة العبرانية القديمة واستخدم شخصياً له في الكتاب المقدس فقط، أما في النقوش الأثرية فيقع نعتاً ليهوه كما هو الحال لدى رقيم ميشع الشهير[١].

ومثل هذا التجازف غير العلمي ما نشره الأسقف ولش في كتابه أصداء التوراة. حيث ذهب يدلل على صحة ما ورد في التوراة بما جرى العثور عليه في نينوى وبابل، وعد ما ورد في هذه الألواح البابلية صدى لما جاء في التوراة، والأصل أن ما جاء في التوراة هو الذي يعد صدى لهذه الألواح، فالآثار البابلية سابقة من حيث الزمن للتوراة، وقد تدارك بعض الباحثين هذا الأمر، وكتبوا عن أثر المدونات البابلية في التوراة[٢].

ولكن قد يبدو غريباً أن يتعامل هذا القدر الكبير من الكتاب المقدس مع تراث أصيل، وأن يتحدث عن مملكة وملوك بتلك العظمة، ولا وجود لكل ذلك.

الحقيقة أن ثمة إسرائيل تاريخية، لكن ليس على تلك الصورة الضخمة التي ينقلها الكتاب المقدس، إنه لا يمكن معرفة إسرائيل التاريخية من دون إحاطة بتاريخ المنطقة كاملة، وإبعاد أي هيمنة لتاريخ إسرائيل المبني على روايات الكتاب المقدس[٣].

---

(١) الماضي الخرافي، توماس طومسون، ص٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، الأب سهيل قاشا، ص ٢٦٧، وأساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق القديم، كارم محمود عزيز، ص ٥٥.

(٣) الماضي الخرافي، توماس طومسون، ص٢٩٥ – ٢٩٧.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها: عندما اجتاح جيش تفلا تبلصر دمشق في عام ٧٣٣ ق. م ساندت إسرائيل (المنافسة لدمشق، وهي دولة صغيرة تقريباً مركزها في السامرة) الآشوريين أملاً في كسب مكافآتها في سهل يزرعيل، لكن الآشوريين ضموا السهل إلى مقاطعتهم الآرامية المؤسسة حديثاً وبعد اعتلاء خلفه شلمنصر العرش حاصر السامرة، واستسلمت المدينة لسرغون الثاني وهذا ما وضع حداً لدولة المرتفعات في عام ٧٢٢ ق.م، وقام سرغون الثاني بسبي جزء من سكان السامرة عبيداً، واستخدم الآخرين فرقة فرسان في جيشه، وجرى توطين المسبيين في سورية وعيلام ومدن أشور الكبرى، وتوطين سكان هاته المدن أغنى وديان السامرة، وهذا لا يعني أن السامرة محيت من الوجود، كما يصور ذلك الكتاب المقدس، بل بقيت حاضرة بما يكفي لدمج القادمين الجدد في اللغة والثقافة والدين، لكن الكتاب المقدس يستعمل تدمير إسرائيل، لأنه عدها كافرة، وإن المصير الموعود لكل متمرد عن يهوه هو الفناء، لتصبح إسرائيل غير موجودة، وهذا بيان لاهوتي، وليس بياناً تاريخيا[١].

بعد استسلام السامرة وقفت بلدة أورشليم مع السياسة الآشورية، وقبل الأشوريون ولاءهم نحو عشرين عاماً، وبعدما نفد صبر الآشوريين من السياسة المصرية في إثارة العصيان على الحدود الجنوبية، دخل الجيش الآشوري الأراضي المصرية، وفي الوقت نفسه قام (سنحريب) بمحاصرة أورشليم فترة، لكن المدينة نجت من هذا الحصار، وتعد القصة الواردة في سفر الملوك الثاني تمجيداً لهذا الحدث، وهو نص لاهوتي يبرز العناية الإلهية بأورشليم، أما من الناحية التاريخية فيبدو أن حملة الآشوريين لم تكن موجهة إلى أورشليم وكانت الروايات الأشورية نفسها تقول ذلك، بل كانت تهدف إلى إخماد تمرد بلدة عفرون

(١) الماضي الخرافي، توماس طومسون، ص٢٩٨، ٢٩٩.

الساحلية في المنخفض الساحلي، حيث كانت بلدة لخيش مفتاحاً لإنتاج الزيتون في المرتفعات اليهودية، وقد سقطت عام ٧٠١ ق. م. ودمرت عن آخرها، وجرى ترحيل كل سكانها، وقد كانت أورشليم الأشورية تابعة متواطئة معها بإرادتها، وأدت دوراً كبيراً في إعادة التنظيم، بعدما تخلصت من لخيش منافستها، وبسطت سيطرتها على المرتفعات اليهودية، ومدت نفوذها نحو الجنوب إلى النقب الشمالي(١).

وفي الوقت الذي تبدو فيه أهمية مدينة أورشليم كبيرة في الكتاب المقدس، فإن مغزاها التاريخي الحقيقي في سياسة واقتصاد اقاليم الريف واقتصادها كان قصير الأجل فأورشليم بسكانها البالغين نحو ٥٠٠٠ نسمة من منتصف القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثامن لم تكن في وضع يؤهلها لتنافس بلدة لخيش الأقوى إقليمياً، ولم يسمح لأورشليم بالتوسع إلا بعد تدمير لخيش المتمردة وترحيل سكانها(٢).

ونتيجة لتوسع الامبراطورية البابلية نحو الجنوب لمواجهة مصر، خاصة بعد ضعف الآشوريين تحركت الجيوش البابلية بسرعة إلى داخل فلسطين وسورية الجنوبية، وبعد انتصار نبوخذ نصر على فرعون أصبحت سورية الجنوبية وكل فلسطين في قبضته، وفي عام ٥٩٧ ق. م استسلمت أورشليم للجيش البابلي، فتم سبي الملك وحاشيته مع الطبقة العليا والحرفيين المهرة للمدينة وقرى يهوذا الكبرى، لم يبتعد المصريون، بل استمروا في فرض الضغط على دول فلسطين الجنوبية، لكي تقاوم الاحتلال البابلي، وفي عام ٥٨٨ ق. م سار الجيش البابلي مرة أخرى ضد أورشليم، فحوصرت المدينة إلى أن سقطت في يد البابليين سنة

(١) المرجع نفسه، ص٣٠١.

(٢) نفسه، ص٣٠٢.

٥٨٦ ق. م، وجرياً على السياسات الأشورية القديمة رحل البابليون سكان أورشليم وملكها، إضافة إلى كثير من القرى، وخلال الترحيل والإجراءات التأديبية المستخدمة لحكم هذه المنطقة دمر البابليون كلاً من الدولة والمجتمع اللذين يشكلان يهوذا(١).

واختصاراً إن إسرائيل التاريخية الوحيدة التي يمكن الحديث عنها هي شعب دولة المرتفعات الصغيرة التي فقدت حكمها الذاتي السياسي في الربع الأخير من القرن الثامن والتي أجمع المؤرخون ودارسو الكتاب المقدس على السواء(٢) ، على قصر مدتها التارييخية، وضيق مساحتها الجغرافية.

تناقض الرواية التاريخية التوراتية مع الواقع الاجتماعي:

- **عدم الانسجام التاريخي بين الروايات الإسرائيلية الأصلية وعالم الشرق الأدنى القديم:**

فيما حاول ألبرايت إعادة تشكيل تاريخ إسرائيل القديم في إطار الشرق الأدنى، وأحرز دالمان تقدماً كبيراً في مجال إيضاح النواحي السوسيولوجية لعالم التوراة بتعابير أنثروبولوجية(٣)، كرس ألت معظم جهوده لإثبات الأصول التاريخية

(١) الماضي الخرافي، توماس طومسون، ص٣٠٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠٦.

(٣) علم الأنثروبولوجيا: هو العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معينة .. ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاً محدداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل. . ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله. نقلاً عن: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، عيسى الشماس، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٤م – دمشق، (ص ١٣، ١٤).

والسمات الخاصة بعهد القضاة حتى نشوء الملكية، وركزها على دمج فهمه للنصوص التوراتية وغير التوراتية والأركيولوجية[١] بكتابة الوقائع التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية في فلسطين من جديد.

خيار ألت هذا، تحدد جزئياً بالنقد البنيوي والدراسات الأدبية لمدرسة تاريخ الأديان وتشككها بالقيمة التاريخية لروايات الخروج وما سبقه، واعتقادها بأن لكل شكل أدبي في روايات التوراة تاريخه الخاص الذي يمكن تحديده، مما يعكس مباشرة المعنى التاريخي لظهوره في تاريخ إسرائيل. هذا قاد ألت إلى تحقيقات مؤثرة حول مظاهر عدة لروايات العهد القديم التي رأى أنها تتناقض تناقضاً حاداً مع السياق الكنعاني لإسرائيل، وحيث ما لحظ ألبرايت طرقاً مختلفة للتوفيق وتحقيق الانسجام التاريخي بين الروايات الإسرائيلية الأصلية وعالم الشرق الأدنى القديم، عمد ألت إلى استخدام المناقضة كأداة رئيسية لاكتشاف تاريخ إسرائيل القديم[٢].

لا يعني التركيز على هذه الأمثلة السابقة وما نجم عنها من أفكار ونقود، إهمال غيرها من الشواهد والأمثلة الأخرى، ولكن ما يهم البحث هنا هو إبراز بعض الأفكار النقدية من خلال الشواهد والأمثلة السابقة على سبيل التوضيح والتي يمكن إبرازها في النقاط التالية:

١- معظم الأحداث التاريخية التوراتية – بحسب ما وردت بمفهومها اليهودي هي وقائع تاريخة ذات بنية لاهوتية مفتقدة للمظهر العلمي.

---

(١) علم الأركيولوجيا، أو علم الآثار، هو دراسة البقايا المادية للحضارات القديمة والشعوب الماضية. يهدف الأركيولوجيون إلى فهم تاريخ الإنسان من خلال التنقيب عن الأدوات، المباني، العظام، والفخار، وتحليلها، ينظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٢) اختلاق إسرائيل، ص٢٧.

٢- الحدث التاريخي بحسب ما أورده كتبة التوراة، هو حدث خاص بهم ينطلق من خلاله الكتبة إلى جملة من الأقوال والأعمال، والسلوك الصهيوني الذي يحمل صفات خاصة به دالة عليه.

٣- لم يحدث نقد لتاريخ الكتاب المقدس، أو نقد الكتاب المقدس كمصدر للمعلومات التاريخية في الكنائس الشرقية إلا بداية من القرن الثامن عشر الميلادي.

٤- وجوب هجر المسلمات والقواعد العامة للدراسات التوراتية، وإعادة النظر في المرويات التوراتية التاريخية جملة وتفصيلًا.

٥- التكرار البين للقصص والمرويات التوراتية، يثير كثيرًا من علامات الاستفهام عن مدى صدقها.

٦- لا مانع لدى الصهاينة من نسبة أي حفرية أو أثر جديد مكتشف إلى الكتاب المقدس وتحريض بعض الكتاب من أجل تسليط الضوء على ذلك.

٧- هناك عدم انسجام واضح بين الروايات الإسرائيلة الأصلية، وعالم الشرق الأدنى القديم.

رغم أن هذا البحث ليس تاريخيًا بالمعنى المنهجي إلا أنه يبين بدرجة كبيرة مدى التفاوت والاختلاف بين المرويات التوراتية والوقائع التاريخية، وذلك سعيًا من الباحث لإبراز الشكل النقدي التاريخي لهذه المرويات؛ لإبراز الدراسة النقدية للطابع التاريخي للتوراة.

ومن مجمل ما سبق، يمكن إبداء بعض المعالم العامة لفكرة البحث، وتتمثل فيما يلي:

١- البناء القصصي لبعض المرويات التاريخية لم يكن متسقًا مع نصوص توراتية أخرى.

٢- التضارب الواضح بين النص والحقيقة، أي بين المرويات التوراتية والوقائع التاريخية المكتشفة.

٣- هذا التضارب لا يمكن التغاضي عنه في ظل اعتقاد اليهود بصدق كل ما جاء في التوراة.

٤- ينبغي تحليل هذه المرويات مع جميع العناصر الأثرية المكتشفة، وهنا يأتي دور التطبيق على بعض هذه المرويات والتي تتناسب مع حجم وإطار البحث.

٥- محاولة إرساء بعض معالم ونماذج لمنهج نقدي تاريخي ينطلق منه إلى المعالجة اللاهوتية للتوراة.

٦- تحريف نص التوراة بالإضافة والزيادة فيه؛ ليستوعب الحدث التاريخي أو يشمل الحفرية والأثر.

نتائج البحث

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج وهي:

١- دراسة مصادر الشريعة اليهودية، يعد الباب الحقيقي، لفهم هذه الشريعة والوقوف على حقيقة اليهودية بصورتها الحالية، والحكم عليها.

٢- نظرًا لأهمية التوراة لدى اليهود، فهم يسمون أنفسهم شعب التوراة وهنا تأتي أهمية النقد التوراتي.

٣- رغم القدم التاريخي للتوراة وسبقها الزمني، ووجودها قبل آلاف السنوات، فإن ذلك لا يغني عن توخي الحذر العلمي والمعرفي في التعامل مع مسلماتها ومقولاتها.

٤- نقد التوراة ليست مسألة مطلوبة فقط، بل هو ضرورة علمية ودينية.

٥- يوجد العديد من الإشكاليات العلمية والدينية في التاريخ اليهودي ينبغي على الباحثين دراستها والنظر فيها.

٦- الرؤية اليهودية للتاريخ تنطلق من منظور عنصري، وهذا يؤكد أن التاريخ يتم دفعه وتحريكه لأجل مصلحة اليهود فقط، ومن منطلق إلهي لا يقبل النقاش أو التقييم – كما يعتقدون.

٧- كشفت الدراسات النقدية للتوراة عن مخالفات علمية وتاريخية كثيرة، وبالتالي ازداد الشك في إلهية الكتاب المقدس مرة أخرى.

٨- الطابع التاريخي للتوراة بكل سياقاته العنصرية والصهيونية مسألة حافلة بمخالفات واضحة للأحداث التاريخية القديمة في المنطقة.

٩- التناقضات التاريخية التوراتية مسألة أوجبت إعادة تشكيل تاريخ إسرائيل القديم في إطار معالم الشرق الأدنى القديم.

١٠- كان الهاجس الأساس عند كتبة التوراة ومدونو رواياتها، هو بناء صرح من الأحداث غير المنطقية، وإرساء أسس النظم والعقائد الصهيونية والعنصرية في شكل مقدس.

١١- المعضلة التاريخية التوراتية تستوجب الوعي التام بتعدد القضايا والإشكاليات المعرفية والدينية للتوراة ونقد ما تطرحه، وأن ننظر إليها كغيرها من المصادر التاريخية والتي تستوجب مراجعة لفرضياتها ومسلماتها (التاريخية وغيرها).

١٢- سعى الخطاب التوراتي إلى إعادة تشكيل تاريخ العالم القديم، بحيث يبدو تاريخا استمد بداياته وأصوله من الفكر الديني اليهودي.

التوصيات

بناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، فقد خرج البحث بالعديد من التوصيات وهي:

١- الاهتمام بدراسة الكتاب المقدس عمومًا، والتوراة بشكل خاص وفق أسس علمية موضوعية بعيدة عن الدراسات التوراتية ذات البعد الصهيوني.

٢- كشف زيف الرؤى اليهودية العنصرية للتاريخ والمنطقة.

٣- دراسة المزيد من الإشكاليات التاريخية والدينية والعلمية التي تمتلئ بها نصوص التوراة.

٤- عدم التسليم بدعاوى اليهود ومقولاتهم خاصة فيما يخص التاريخ القديم للمنطقة العربية بأسرها.

٥- إعادة النظر في السياقات العلمية للتاريخ اليهودي والخروج به من دائرة المنظور الصهيوني المتعصب، إلى دائرة المنظور العلمي والمعرفي الموضوعي.

٦- هناك كثير من القضايا والجوانب الهامة التي يمكن دراستها في إطار "النقد التاريخي للتوراة" وهذا ما يجب أن يوليه الباحثون مزيد اهتماهم، مثل الأثر البابلي والمصري على التوراة.

مراجع البحث

- أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، الأب سهيل قاشا، ط١، ١٩٩٨م، بيان للنشر والتوزيع والإعلام – بيروت.
- اختلاق إسرائيل القديمة (إسكات التاريخ الفلسطيني)، كيث وايتلام، ترجمة: سحر الهنيدي، ع٢٤٩، عالم المعرفة – الكويت.
- أساس الدين، د/ هلال فارحي، دار ومكتبة بيبليون –بيروت.
- أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق القديم، كارم محمود عزيز، ط١، ٢٠٠٦م، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر.
- أسطورة المسيح بين الحقيقة والخيال، جورج إدوارد إفري، ترجمة: عادل أسعد الميري، ط١، ٢٠١٥م، آفاق للنشر والتوزيع – القاهرة.
- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، موريس بوكاي، ترجمة: فوزي شعبان، ط١، ١٩٨١م، المكتبة العلمية – بيروت.
- التاريخ الجديد، جاك لوغوف، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، ط١، ٢٠٠٧م – المنظمة العربية للترجمة.
- تاريخ الكتابة التاريخية، إلمزبارنز هاري، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج، ج٢، ١٩٨٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، يوسف الكلام، ط١، ٢٠٠٩م، دار صفحات للدراسات والنشر – دمشق.
- التاريخ ومنهج البحث التاريخي، يزبك قاسم، د.ت.
- تطور الإنجيل المسيح بن الله أم ملك من نسل داود؟ دراسة مقدمه وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل تكشف مفاهيم مثيرة. تأليف/ أينوكبأول – ترجمة / أحمد أيبش – دار قتيبه، ب.ت.
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.
- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد، ط٣، (١٤١١هـ – ١٩٩٠م)، المكتب الإسلامي – دمشق.

- جدل الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة للكتاب المقدس، نعيمة إدريس، صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ب.ت.
- جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب، فكري آل هير، ٢٠١٨م، ب. ط.
- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أحمد عبد الرازق أحمد، دار الفكر العربي– القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
- دراسات في تاريخ العرب القديم، د/ محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب . ت.
- علم الآثار التوراتي في إسرائيل، محمود الصباغ، مقال شبكة الانترنت، صفحة الحوار المتمدن، ٢٠٢٢/٤/٢٧.
- علم التاريخ، فاطمة قدورة الشامي، دار النهضة العربية، ٢٠٠١م.
- قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل – بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- ما التاريخ وكيف نفسره؟ أحمد زكريا الشلق، ط، ٢٠١٥م، المجلس الأعلى للثقافة –مصر.
- الماضي الخرافي: التوراة والتاريخ، توماس طومسون، ترجمة: عدنان خضر، ٢٠١٨م، قدس للنشر والتوزيع.
- مجتمع يسوع تقاليده وعاداته، الأب سامي حلاق اليسوعي، ط١، ١٩٩٩م، دار المشرق –بيروت.
- المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيمومي، دار التنوير– لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د/ محمد علي الباز، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، دار العلم – دمشق.
- المستخلص في النقد التاريخي، عارف أحمد المخلافي، ط دار النشر للجامعات– اليمن، ٢٠١٤م.
- المسيح التاريخي، الأب/ أيوب شهوان، ط١، ٢٠٠٥م، الرابطة الكتابية.
- مصطلح التاريخ، رستم أسد، مركز تراث للأبحاث والدراسات،١٩٥٥م.

- مفهوم التاريخ وتاريخ المفهوم في العالم الغربي من النهضة إلى العولمة، التيمومي الهادي دار محمد علي للنشر، ٢٠٠٣م.
- مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، عبد الله العروي، ط٤، ٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت.
- المقدمة، ابن خلدون، ت: علي عبد الواحد وافي، ط دار الشعب– القاهرة ١٩٦٢م.
- من كتب التوراة، ريتشارد إليوت فريدمان، ترجمة: عمر زكريا، دار البيان للنشر والتوزيع، القاهرة، ب.ت.
- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ١٩٩٠م.
- منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، ط دار المعارف – القاهرة ،١٩٨٠م.
- منهج البحث التاريخي، عاد حسين غنيم و جمال محمود، ط دار المعرفة التاريخية–مصر، ٢٠٠٧م.
- موسوعة اليهود واليهودية (الموسوعة الموجزة)، د/ عبد الوهاب المسيري، ط٣، ٢٠٠٦م، دار الشروق – القاهرة.
- النقد التاريخي خطواته المنهجية والقضايا التاريخية المهيكلة له، د أبجي محمد، مجلة عالم الفكر الكويت(١٦٩/٤).
- النقد التاريخي وأهميته في إبراز الحقيقة التاريخية، منصورية قدور، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد٧، العدد١، ٢٠٢١م.
- النقد التاريخي: خطواته المنهجية والقضايا التاريخية المهيكلة له، د/ أبجي محمد، عالم الفكر، ع١٦٩ (يوليو –سبتمبر٢٠١٦م)، الكويت.
- الوجه الآخر للمسيح، فراس السواح، ط١، ٢٠٠٤م، دار علاء الدين – دمشق.
- اليهود تاريخ وعقيدة، د/ كامل سعفان، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ب.ت.
- اليهودية، د/ أحمد شلبي، ١٩٨٨م، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة، ب–ت.

فهرس البحث

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص البحث بالعربية	١٣٨٧
٢	ملخص البحث بالإنجليزية	٣٨٨
٣	المقدمة	١٣٨٩
٤	التمهيد	١٣٩٤
٥	المبحث الأول: التعريف بالتوراة، وأهم محتوياتها، وأسس نقدها	١٤٠٧
٦	المطلب الأول: التعريف بالتوراة	١٤٠٨
٧	المطلب الثاني: أهم محتويات التوراة	١٤٠٩
٨	المطلب الثالث: أسس نقد التوراة والعهد القديم	١٤١٣
٩	المبحث الثاني: الطابع التاريخي للتوراة: دراسة نقدية	١٤٢٣
١٠	المطلب الأول: إشكالية اللاهوت في التاريخ التوراتي	١٤٢٤
١١	المطلب الثاني: مشكلة تاريخية التوراة	١٤٣٠
١٢	المطلب الثالث: التراث التوراتي والنقد التاريخي	١٤٣٤
١٣	المبحث الثالث: الطابع التاريخي للتوراة: (نماذج تطبيقية مختارة)	١٤٤٤
١٤	المطلب الأول: الحدث التاريخي وضياع المظهر العلمي للبنى اللاهوتية للتوراة	١٤٤٥
١٥	المطلب الثاني: هجر السمات والقواعد الثابتة للدراسات التوراتية	١٤٤٧

١٦	نتائج البحث	١٤٦٦
١٧	توصيات البحث	١٤٦٧
١٨	مراجع البحث	١٤٦٨
١٩	الفهرس	١٤٧١

تم بحمد الله